

ستون دليلاً

على تكريم الإسلام

لمريم العذراء، وابنها المسيح

عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

(قصة المسيح وأمه مريم العذراء من المهد إلى اللحد)

إعداد: ماجد بن سليمان

ذو الحجة ١٤٤٢ هجري

يوليو ٢٠٢١ ميلادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بشأن نبي الله عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فابتدأ قصته بذكر ولادة أمه مريم، ونشأتها نشأة الطهر والعفاف والعبادة والتبتُّل، ثم ذَكَرَ إكرامَ الله تعالى لها بأن رزقها غلاماً بلا أب، حيث أرسل لها أعظم الملائكة - وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ - ليشرها به، ولينفخ فيها فتحمِلَ بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم ذكر رعاية الله لها أثناء حملها، ورعايته لها أثناء ولادتها له، ثم حديثها مع بني إسرائيل لما استنكروا إنجابها للولد وليست ذات زوج، وكلام عيسى في المهد بأنه عبد الله، وأنه نبي من عند الله، ثم بين القرآن خبره بعدما كبر لَمَّا بعثه الله إلى بني إسرائيل نبياً مؤيِّداً بمعجزات كثيرة تدل على نبوته، وأنه رسول من عند الله، ليعلم الناس أنه لا يأتي بتلك المعجزات إلا رسولٌ أيده الله بها، حاله في هذا كحال غيره من الأنبياء، ثم ختم القرآن أخبارَ عيسى ابن مريم بذكر محاولة اليهود قتله، وكيف أن الله نجَّاه منهم بمعجزة

إلهية، لم تحصل لنبي قبله، وهي رُفِعَتْ إلى السماء مُعَزَّزًا مَكْرَمًا، خلافًا لِمَا يعتقدُه النصارى^(١) واليهود فيه أنه قتله اليهود وبصقوا في وجهه وصلبوه على خشبةٍ على هيئة صليب ووضَعوا الشوك على رأسه، حاشاه من ذلك.

وقد سلك الإسلام في الاعتقاد بالمسيح مسلكًا وسطًا بين اليهود والنصارى، فالنصارى عَظَموه وأخرجوه من حيز البشرية إلى حيز الألوهية، ثم اضطربوا في هذا اضطرابًا عظيمًا، فمنهم من قال إنه هو الله، ومنهم من قال إنه هو ابن الله، ومنهم من قال إنه ثالث ثلاثة، وهم في هذا الاعتقاد مناقضون لاعتقادهم الآخر فيه، وهو أن اليهود قتلوه وبصقوا في وجهه وصلبوه على خشبة الصليب، إذ كيف يجتمع كونه ربًّا لهذا الكون مع وقوع هذه الإهانة العظيمة عليه؟!

أفلا دافع الربُّ عنه لو كان ابنه حقًّا؟!

(١) النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين، وهم أتباع عيسى ابن مريم، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعًا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضًا يقال لها «ناصر» بفلسطين، وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

وعلى كل حال فكلمة «نصارى» أصلها من النُصرة، وهي صفة مدح وثناء.

أما اليهود -فهم على الجانب الآخر تماماً-، اعتقدوا في المسيح عيسى ابن مريم اعتقاداً يناقض اعتقاد النصارى، فقالوا إنه ابن زنا (حاشاه من ذلك)، حسداً له أن جعله الله نبياً، وهم مع هذا لا يؤمنون بنبوته.

ولكن طائفة قليلة من أتباع عيسى ابن مريم بقيت على إيمانها الصحيح بعيسى ابن مريم، وهم الحواريون، فبقوا متمسكين بدينه، وهم بريئون من غُلُو^(١) النصارى في المسيح، وازدراء اليهود له.

ثم جاء الإسلام فجَلَّى حقيقة الأمر، وأظهر الحق، وكان هذا بعد رفع المسيح بنحو ستة قرون، وذلك أن الله رحيم بعباده، لم يترك بني إسرائيل يسرون مضطربين بلا هداية ولا إرشاد، فأرسل نبيه محمداً إلى جميع الناس، بني إسرائيل وغير بني إسرائيل، وأنزل عليه القرآن، وتكفل بحفظه من التحريف والتبديل الذي طرأ على التوراة والإنجيل، والذي تسبب في اضطراب عقيدة المسيحيين في المسيح نفسه، واختلافهم في فهم ذاته وماهيته، فبين القرآن حقيقة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم يدع شبهة إلا أزالها، ولا حقيقة إلا أبانها، وبين أنه بشر كغيره من الأنبياء، ونبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل، أرسله الله ليأمرهم بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وأنزل معه الإنجيل فيه هدى ونور، ونهاهم عن عبادة ما سواه، وبين القرآن أن الله نسخ شريعة المسيح ومن قبله من الأنبياء بشريعة الإسلام،

(١) الغُلُو هو الزيادة في التعظيم كما سيأتي.



وجعلها مهيمنة على ما قبلها من الشرائع، وحفظ دستورها - وهو القرآن - من التحريف والضياع بأمر الله الكوني إلى يوم القيامة.

وقد ورد ذكر اسم النبي (عيسى) في القرآن خمساً وعشرين مرة، كما ورد ذكره باسم (المسيح) تسع مرات، بينما لم يُذكر اسم النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في القرآن إلا أربع مرات.

وقد ورد ذكر عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** في القرآن بعدة ألقاب ومسميات وهي: عيسى ابن مريم، ابن مريم، المسيح، عبد الله، رسول الله.

كما ورد ذكر اسم أمه (مريم) إحدى وثلاثين مرة في القرآن، بينما لم يُذكر في القرآن اسم واحدة من بنات النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو زوجاته.

كما يجدر التنبيه إلى أن (مريم) قد سُميت باسمها إحدى سور القرآن، بينما لم تُسمَّ سورة واحدة باسم إحدى بنات النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو زوجاته.

وقد وَرَدَت كل تلك التسميات للمسيح وأمه في القرآن في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بهما، دون اعتقاد أن لهما شيئاً من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، يَعْبُدَانِ الله كما يعبد غيرهم، ويرجوانه الجنة والنجاة من النار كما يرجوه غيرهم.

ليس هذا فحسب، بل قد جاء وصف عيسى بأنه من أولي العزم من الرسل، والعزم هو الصبر والحزم.

وأولو العزم من الرسل هم أعظم الرسل، وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد)، صلوات الله عليهم جميعاً.

وبعد:

فهذا البحث يسלט الضوء على أخبار النبي العظيم عيسى ابن مريم كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) من أربعة عشر جانباً:

١. قصة ميلاد أمه مريم بنت عمران

(١) معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملائ الأعلى وهم الملائكة، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه، وهو يستحق ذلك، لأن الله هدئ الناس به إلى الدين الصحيح. ومعنى (وسلم) هذا دعاء -أيضاً- أن يُسَلِّمَهُ اللهُ مِنَ الْآفَاتِ، مثل الطعن فيه أو في زوجته ونحو ذلك.

فيكون المعنى الإجمالي لجملة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي: اللهم أثنِ على نبيك محمد عند ملائكتك، وسلمه من الآفات.

وهذه الجملة جملة توقيير واحترام، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.

كما يستحب قول عَلَيْهِ السَّلَامُ عند ذكر باقي الأنبياء، تشريفاً لهم وتكريماً.



٢. الأحاديث الواردة عن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضائل مريم ابنة

عمران

٣. قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم

٤. الأدلة القرآنية على نبوة المسيح عيسى ابن مريم

٥. ذكر المعجزات الدالة على نبوة المسيح عيسى ابن مريم

٦. إثبات أن الله منزّه عن الولد

٧. قصة رفع المسيح إلى السماء

٨. اختلاف أصحاب المسيح بعد رفعه إلى السماء

٩. قصة نزول المسيح، وما يحصل بعد نزوله من أحداث عظام

١٠. الانحرافات في الإيمان بعيسى ابن مريم

١١. الأحاديث الواردة عن النبي محمد في فضائل المسيح عيسى ابن

مريم

١٢. صفة المسيح عيسى ابن مريم

١٣. بشارة عيسى ابن مريم بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١٤. الدلائل الستون على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح

عيسى ابن مريم

١٥. خاتمة

وبعد، فلا يفوتني التنبيه على أنني اعتمدتُ في هذا البحث اعتماداً أساسياً على كتاب «البداية والنهاية» للشيخ إسماعيل بن عمر بن كثير **رَحْمَةُ اللَّهِ**، فقد سرد فيه قصص الأنبياء، ومنهم المسيح عيسى ابن مريم، وضممتُ إليه بعض ما قاله في تفسيره المشهور «تفسير القرآن العظيم» في هذا الباب، وزدتُ عليه ما يسر الله من فوائد علمية من كتاب «التفسير الميسر»، وكتب الحديث المعتمدة، وغيرها من المصادر العلمية.

والذي دعاني لإعداد هذا البحث هو بيان عقيدة المسلمين في المسيح عيسى ابن مريم وأمه مريم بنت عمران **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**، حيث إني وجدت من خلال بعض مناقشاتي مع غالب المسيحيين (النصارى) أنهم يظنون أن المسلمين يُبغضون المسيح وأمه، فأثبتُ في هذا البحث خلاف ذلك، وبينتُ أن القرآن الكريم يوقّر المسيح وأمه ويُعلي قدرهما، وينفي عنهما ما نُسب إليهما من أوصاف الألوهية والربوبية، إذ إن ذلك خاص بالرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهو الله، لا يشاركه فيه أحد، كائناً من كان.

كما وجدت عند شريحة من مثقفي المسيحيين (النصارى) تشوقاً جاداً ورغبة أكيدة للتخلص من حالة عدم القناعة القلبية بما تُمليه الكنائس عليهم من عقائد مناقضة للعقل والمنطق، وكلام غير مفهوم بيئه القساوسة كل يوم أحد، يصاحب هذا أن القساوسة يخشون فتح باب مناقشة عقائدهم أمام المسلمين، وفي



أغلب الأحيان يلجئون إلى مبدأ التخويف والإرهاب لأفراد الرعية من مناقشة المسلمين أو مجرد الاحتكاك بهم، فجاءت فكرة هذا البحث، أسأل الله أن ينفع به. ومن اللطائف -أيضاً- أني أطلعتُ إحدى الراهبات المسيحيات على عقيدة الإسلام الصافية في المسيح، فقالت لي بصريح العبارة:

(عقيدتكم في المسيح خيرٌ من عقيدتنا نحن المسيحيين فيه).

وَفَقَّ اللهُ الْجَمِيعَ لِلْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْإِعْتِقَادِ الصَّالِحِ، وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعْ أَحْسَنَهُ.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل^(١)، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

ماجد بن سليمان

في شهر رمضان من عام ١٤٤١ هجري

الموافق أبريل من عام ٢٠٢٠ ميلادي

(١) جبرائيل هو أعظم الملائكة، وهو الملك الموكَّل بالوحي إلى الرسل.

وميكائيل هو المَلَك الموكَّل بالمطر.

وإسرافيل هو المَلَك الموكَّل بالنفخ في الصور ليقوم الناس يوم القيامة للحساب والجزاء.

ومعنى (فاطر السماوات والأرض) أي خالقهما.

توضيح مصطلحات متكررة في الكتاب

• مصطلح « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »

كما تقدم في أول المقدمة، فإن معنى الصلاة على النبي محمد هو ثناء الله عليه في الملائكة والأعلى وهم الملائكة، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه، وهو يستحق ذلك، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.

ومعنى (وسلم) هذا دعاء -أيضاً- أن يُسَلِّمَهُ اللهُ من الآفات، مثل الطعن فيه أو في زوجته ونحو ذلك.

فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي: اللهم أثنِ على نبيك محمد عند ملائكتك، وسَلِّمَهُ من الآفات.

وهذه الجملة جملة توقير واحترام، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.

كما يستحب قول (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عند ذكر باقي الأنبياء، تشريفاً لهم وتكريماً.

• مصطلح «مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ»:

إذا قيل (مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ) فهذا دعاء لها بالسلامة في عرضها، حيث إن اليهود يطعنون فيها ويقولون إنها زنت مع يوسف النجار فأنجبت عيسى، حاشاها من ذلك، فالمسلم يدعو لمريم بالسلامة من طعن اليهود في عرضها بقوله (عَلَيْهَا السَّلَامُ).

وسوف يمر معنا قريباً أن الله أخبر عن مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ بأنه اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، كما أخبر النبي محمد ﷺ بأنها سيدة نساء أهل الجنة.

• مصطلح «النَّصَارَى»

النصارى هم المعروفون الآن بالمسيحيين، وهم أتباع عيسى ابن مريم، ووجه تسميتهم بهذه التسمية «نصارى» هو تناصرهم فيما بينهم.

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعاً للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ (١).

وقيل إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها «ناصر» بفلسطين، وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

وعلى كل حال؛ فكلمة «نصارى» أصلها من النُّصرة، وهي صفة مدح وثناء.

(١) سورة آل عمران: ٥٢، الصف: ١٤.

الفصل الأول:

{ قصة ميلاد العذراء البتول^(١)، مريم بنت عمران،

كما وردت في «القرآن» }

أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، وَبَيَّنَّ فِيهَا قِصَّةَ مِيلَادِ مَرْيَمَ أُمِّ الْمَسِيحِ، وَكَيْفَ حَمَلَتْ بِوَلَدِهَا الْمَسِيحِ، كَمَا بَسَطَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ «مَرْيَمَ»، فَقَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ (سورة آل عمران)، وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَصْدَقُ الْقَائِلِينَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ إِلَّا لَأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ (٢).

يَذُكُرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ اصْطَفَىٰ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْخُلَصَّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْمُتَّبِعِينَ شَرَعَهُ

(١) البتول أي المنقطعة عن الرجال. انظر «النهاية».

(٢) سورة آل عمران: (٣٣-٣٧).

الْمَلَازِمِينَ طَاعَتَهُ، ثُمَّ خَصَّصَ فَقَالَ ﴿وَأَلِإِبْرَاهِيمَ﴾، فَدَخَلَ فِيهِمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ، وَبَنُو إِسْحَاقَ، (وَأَلِ عِمْرَانَ)، فَدَخَلَتْ فِيهِمْ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ.

وبمعنى آخر: إن الله اختار آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، أي: هؤلاء الأنبياء والرسل سلسلةٌ طهَّرَ متواصلة في الإخلاص لله وتوحيده والعمل بوحيه، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم على ذلك.

وَالْمُرَادُ بِعِمْرَانَ هُوَ وَالِدُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَهُوَ عِمْرَانُ بْنُ بَاشِمَ بْنِ أُمُونَ بْنِ مِيشَا بْنِ حِزْقِيَا بْنِ أَحْرِيْقَ بْنِ مَوْثَمَ بْنِ عَزَازِيَا بْنِ أَمْصِيَا بْنِ يَإُوشَ بْنِ أَحْرِيْهُو بْنِ يَازَمَ بْنِ يَهْفَاشَاطَ بْنِ إِيشَا بْنِ أَيَانَ بْنِ رَحْبَعَامَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ.

فَلَا خِلَافَ أَنَّ مَرْيَمَ هِيَ مِنْ سُلَالَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ أَبُوهَا عِمْرَانُ صَاحِبَ صَلَاةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَتْ أُمُّهَا، وَهِيَ حَنَّةُ بِنْتُ فَاقُودَ بْنِ قُبَيْلَ، مِنَ الْعَابِدَاتِ، وَكَانَ زَكَرِيَّا نَبِيَّ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَهُوَ زَوْجُ أُخْتِ مَرْيَمَ، وَقِيلَ زَوْجَ خَالَتِهَا.

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ (١) وَعَيْرُهُ أَنَّ أُمَّ مَرْيَمَ كَانَتْ لَا تَحْمِلُ، فَرَأَتْ

(١) محمد بن إسحاق بن يسار، من علماء المسلمين في التاريخ والمغازي والحديث، ولد سنة

(٨٥) بالتاريخ الهجري، (٧٠٣) بالتاريخ الميلادي، وهو أول من دوّن تاريخ سيرة النبي

يَوْمًا طَائِرًا يُطْعِمُ فَرْخًا لَهُ، فَاشْتَهَتْ الْوَالِدَ، فَذَرَّتْ لِلَّهِ إِنْ حَمَلَتْ لِتَجْعَلَنَّ وَلَدَهَا مُحَرَّرًا، أَيْ حَيْسًا فِي خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَنْذِرُونَ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ خُدَّامًا مِنْ أَوْلَادِهِمْ، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، إِنْ نَذَرْتُ لَكَ (أَي جَعَلْتُ لَكَ) مَا فِي بَطْنِي خَالصًا لَكَ لخدمة «بيت المقدس»، فتقبَّل مني هذا العمل الصالح، إنك السميع لدعائي، العليم بنيتي.

فَحَاضَتْ مِنْ فَوْرِهَا، فَلَمَّا طَهَّرَتْ وَاقَعَهَا زَوْجُهَا، فَحَمَلَتْ بِمَرِيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَأثناء حملها مات زوجها عمران.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾.

رُزِقَتْ حَنَّةٌ أُمُّ مَرِيَمَ بِنْتًا، فَأَسِيفَتْ حَنَّةٌ وَاعْتَذَرَتْ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، لِأَنَّ الْبِنْتَ لَا تَقُومُ بِالْخِدْمَةِ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يَقُومُ الرَّجُلُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَالَ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾، أَي: وَسَوْفَ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهَا شَأْنًا لَا تَعْلَمُهُ أُمُّ مَرِيَمَ، ثُمَّ عَادَ سِيَاقُ الْكَلَامِ لِأُمِّ مَرِيَمَ فَقَالَتْ ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾، أَي: فِي الْقُوَّةِ الْجَسْمِيَّةِ لِلْقِيَامِ بِالْخِدْمَةِ.

﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

أَي أَعِيدُهَا وَأَلْجئُهَا بِكَ يَا اللَّهُ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهَا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيَانِ حِمَايَةِ اللَّهِ لِمَرِيَمَ: «مَا

محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتخصص في هذا، وصار من بعده عيالاً عليه، توفي سنة (١٥٠) هجرية.

انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ».

مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٍ إِلَّا يَمْسُهُ (١) الشَّيْطَانُ حِينَ يُوَلَّدُ فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا (٢) مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرِيَمَ وَابْنَهَا، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ - رَاوِي الْحَدِيثِ - : وَافْرُءُوا إِن شِئْتُمْ : ﴿وَأَيُّ أَعْيُدْهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)﴾ . (٣)

وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ بِأَصْبَعِهِ حِينَ يُوَلَّدُ، غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرِيَمَ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ (٤)» . (٥)

وَقَوْلُهُ : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ .

قَبِلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ حَنَّةٍ نَذْرَهَا، وَجَعَلَهُ نَذْرًا مَبَارَكًا، فَرَزَقَهَا مَرِيَمَ، ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ ، أَي : وَتَوَلَّى ابْنَتَهَا مَرِيَمَ بِالرَّعَايَةِ، ثُمَّ سَلَّمَتِ الْأُمَّ ابْنَتَهَا مَرِيَمَ بَعْدَ رَضَاعِهَا إِلَى الْعُبَادِ الَّذِينَ هُمْ مُقِيمُونَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيَقُومُوا بِكَفَالَتِهَا وَتَرْبِيَّتِهَا تَرْبِيَّةً دِينِيَّةً، لِأَنَّ مَرِيَمَ نَشَأَتْ يَتِيمَةً، قَدِمَاتِ أَبُوهَا، فَتَنَازَعُوا فِيهَا، كُلِّهِمْ يَرِيدُ أَنْ يَكْفُلَهَا، لِأَسِيْمَا وَهِيَ ابْنَةُ عِمْرَانَ، إِمَامِهِمْ وَصَاحِبِ صَلَاتِهِمْ وَمَعْلَمِهِمْ

(١) أَي يَمْسُهُ بِأَصْبَعِهِ لِيَصِيحَ .

(٢) يَسْتَهْلُ صَارِحًا أَي يَصِيحُ .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٣١) وَمُسْلِمٌ (٢٣٦٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) الْحِجَابُ هُوَ حَاجِزُ خَلْقِهِ اللَّهِ وَأَوْجَدَهُ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَمَرِيَمَ، فَلَمَّا أَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَطْعَنَ مَرِيَمَ فِي جَنْبِهَا طَعَنَ فِي الْحِجَابِ، وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِابْنَتِهَا الْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرِيَمَ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَطْعَنَهُ فِي جَنْبِهِ بِأَصْبَعِهِ لِيَصِيحَ جَاءَتِ الطَّعْنَةُ فِي الْحِجَابِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا، فَحَمَاهُ اللَّهُ مِنْهُ .

(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٨٦) وَمُسْلِمٌ (٢٣٦٦) .

دينهم وذي أفضال عليهم، وكان قد مات كما تقدم لما كانت أمها حاملاً بها.

وكان زكرياً هو نبيهم في ذلك الزمان، وكان يريد كفالتها، لاسيما وهو زوج خالتها، فنازعوه في ذلك، كلهم يريد أن يكفلها، وطلبوا أن يقترع معهم، فخرجت قرعته غالباً لهم، وذلك أن كلاً منهم ألقى قلمه معروفاً به، ثم وضعوا الأقلام في موضع، وأمروا غلاماً لم يبلغ الحنث^(١) أن يختار قلماً من تلك الأقلام، فأيهم خرج قلمه فاز بكفالة مريم، فأخرج واحداً من تلك الأقلام، فكان قلم زكرياً عليه السلام.

فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية، وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر، فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب، ففعلوا، فكان قلم زكرياً هو الذي جرى على خلاف جرية الماء، وسارت أقلامهم مع الماء.

ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة، فأيهم جرى قلمه مع الماء، وتكون بقيته الأقلام قد انعكس سيرها فهو الغالب، ففعلوا، فكان زكرياً هو الغالب لهم، ففاز بالقرعة فكفلها.

وهذا تفسير قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾^(٢).

(١) لم يبلغ الحنث أي لم يبلغ مبلغ الرجال، بل لا زال صغيراً.

(٢) سورة آل عمران: ٤٤.

أي: ذلك الذي قصصناه عليك يا محمد إنما هو من أخبار الغيب التي أوحاها الله إليك، إذ لم تكن معهم حين اختلفوا في كفالة مريم أيهم أحق بها وأولى، ووقع بينهم الخصام، فأجروا القرعة بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة، ففاز زكريا بالقرعة، فكفلها.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ لَمَرِّمُ أُنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ (١).

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: اتَّخَذَ زَكَرِيَّا لَهَا مَكَانًا شَرِيفًا مِنَ الْمَسْجِدِ الَّذِي كَانَ يَعْبُدُ اللَّهُ فِيهِ، لَا يَدْخُلُهُ سِوَاهَا، فَأَسْكَنَهَا فِيهِ، فَكَانَتْ تَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، وَتَقُومُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنْ خِدْمَةِ الْبَيْتِ إِذَا جَاءَتْ نَوْبُتُهَا، وَتَعْبُدُ فِيهِ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا، حَتَّى صَارَتْ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ بِعِبَادَتِهَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاشْتَهَرَتْ بِمَا ظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ، وَالصِّفَاتِ الشَّرِيفَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ زَكَرِيَّا كَانَ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مَوْضِعَ عِبَادَتِهَا وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا غَرِيبًا فِي غَيْرِ أَوَانِهِ، فَكَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، فَيَسْأَلُهَا: ﴿أُنَّى لَكَ هَذَا﴾، أَي مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الرِّزْقُ الطَّيِّبُ؟ فَتَقُولُ ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أَي: هُوَ رِزْقٌ رَزَقْنِيهِ اللَّهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾، فَعِنْدَ ذَلِكَ طَمِعَ زَكَرِيَّا فِي رِزْقٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا حَصَلَ لِمَرِيَمَ، بِأَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ وَلَدًا، وَالْوَلَدُ مِنَ أَعْظَمِ الْأَرْزَاقِ.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرَيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾، ثم قال ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ (١).

قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: ﴿يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي: اختارك واجتباك، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي: من الأخلاق الرذيلة، وأعطاك الصفات الجميلة، ﴿وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٢)، أي: اصطفاكِ على سائر نساء عالمي زمانك.

﴿يَمْرَيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣)، أي: يا مريم داومي على طاعة ربك، وقومي في خشوع وتواضع، واسجدي واركعي مع الراكعين،

شكراً لله على ما أولاك من نعمة.

ثم بشرتها الملائكة بولد فقالت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾، أي: له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة، ومن المقربين عند الله في الدنيا والآخرة.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾، أي: في صغره، يدعُوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك في حال كهولته، فدَلَّ على أنه يبلغ الكهولة، ويدعو إلى الله فيها.

(ومن الصالحين)، أي أنه ممن أصلح الله قلبه وعمله.

وقد أثنى الله على مريم ثناءً عظيمًا فوصفها بالصدّيقة في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴿١﴾﴾.

ومعنى (صدّيقة) أي أنها صدّقت بكلام الله وأوامره التي أنزلها على أنبيائه تصديقًا جازمًا، وعملت بما أمرها الله فيها، فوافق عملها علمها، فلم يبدر منها ما يخالف الشريعة.

كما جاء وصفها بتصديق كلام ربها في آية أخرى وهي قول الله تعالى

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ (١).

وقوله ﴿مِنَ الْقَانِنِينَ﴾: أي أنها من المداومين على طاعة ربها.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ طَهَّرَ مَرْيَمَ وَاصْطَفَاهَا عَلَى نِسَاءِ عَالَمِي زَمَانِهَا، وَكَفَى
بهذه المنزلة شرفاً ورفعة.



خلاصة في عقيدة الناس في مريم ابنة عمران

عقيدة الناس في مريم ابنة عمران ثلاثة أنواع:

الأول: اليهود حطُّوا من قدر مريم، فقالوا إنها زنت مع يوسف النجار ابن خالها، فأنجبت المسيح، حاشاها من ذلك.

الثاني: النصارى رفعوا قدرها فجعلوها فوق مستوى البشر، فوصفوها بأوصاف الرب، وعبدوها، مع وجود اختلاف بينهم في قدر التعظيم، فقد اختلفت الطوائف الكبرى الثلاث من طوائف النصارى حول مريم العذراء اختلافاً كبيراً، حيث يرى فيها الأرثوذكس أنها وُلدت كأى إنسان آخر حاملة للخطية، ومثل الأنبياء والقديسين.

ولكن القساوسة الأولين نادوا بأن مريم منزَّهة عن الخطيئة الأصلية مثل المسيح -بحسب اعتقادهم-.

ويرون أن مكانتها تتلخص في كونها أمَّ الله، فهم يُكرِّمونها ويقومون بعمل صوم لها وأعياد في الوقت نفسه.

وأما الكاثوليك فيعتقدون أنها بريئة من الخطية مثل المسيح وبلا دنس، ويعتقدون أنها صعدت حيةً إلى السماء، وصنعوا لها التماثيل في كنائسهم، ويُصلون لها.

وأما البروتستانت فيعتبرونها مخلوقة عادية كغيرها، ويعترضون على تسميتها «الإله»، و«أم الإله»، ويعتقدون أنها أمُّ يسوع فقط، فهي لم تلد اللاهوت، وإنما ولدت جسداً فقط، وقال بعضهم إنها قشرة البيضة التي خرج منه الكتكوت.

وقد اتفق الأرثوذكس والكاثوليك على بُتولية العذراء -أي انقطاعها عن الرجال- وعدم وجود إخوة للمسيح بالجسد.

وعلى العموم فمريم عند الأغلب من الطوائف هي المباركة والشفيعة المؤتمنة عند الرب، وهي القديسة لدرجة عالية جداً، وتصل إلى درجة أن يحلف الناس بها ويشركونها مع ابنها المسيح، ويرجون منهما الحفظ، ويذكرونها مع الرب، ويتبركون بها للرب الأب كما يسمونه الآن، وهي سلطنة السماء، وأم النور، وهي تُبارك أعمال المسيحيين وترعاهم، وهذا كله من الخرافة.

ثم إن مريم العذراء لو كان لها شيء من صفات الرب لردّت الموت عن نفسها، ولردّت محاولات إلحاق الأذى بابنها ومحاولة قتله وصلبه التي يعتقدون حصولها فيه، ولكن لم يكن شيء من ذلك منها، بل الذي حماه هو الله، فرفعه إلى السماء، وحماه من القتل والصلب، وأما مريم فبشر كغيرها من النساء، عاشت عابدة لربها، حتى جاءها الموت فماتت.

الثالث: يبين دستور الإسلام -وهو القرآن- أن مريم بنت عمران كانت عابدة لله، شريفة صديقة تقيّة نقيّة، لم تعبد غير الله، ولم تدعُ الناس إلى عبادتها ولا عبادة ابنها، وقد جاء ذكرها في القرآن في مقام الاحترام والتبجيل في أحد

وثلاثين موضعاً، بينما لم يُذكر في القرآن اسم واحدة من بنات النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو زوجاته.

كما يجدر التنبيه إلى أن (مريم) قد سُمِّيت باسمها إحدى سور القرآن، بينما لم تُسمَّ سورةٌ واحدة باسم إحدى بنات النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أو زوجاته.

وقد وَرَدَتْ كل تلك التسميات لمريم في القرآن في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بها، دون اعتقاد أن لها شيئاً من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هي بشر مثلنا، تعبد الله كما يعبد غيرهها، وترجوه الجنة والنجاة من النار كما يرجوه غيرها.

كما ينص دستور الإسلام على أن مريم بنت عمران حملت بالمسيح بكلمة الله (كن) فكان المسيح في بطنها، وبقي في بطنها البقاء الطبيعي للجنين في بطن أمه، ثم ولدته كما تلد النساء أبناءهن.

تم بحمد الله الفصل الأول: «قصة ميلاد مريم بنت عمران»، ويليه الفصل الثاني وهو: «الأحاديث الواردة عن النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في فضائل مريم ابنة عمران».

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.

الفصل الثاني:

الأحاديث الواردة عن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضائل مريم ابنة عمران

هذا شيء من فضائل مريم ابنة عمران كما وردت في أحاديث النبي محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

١. عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خط أربعة خطوط ثم قال:

أتدرون لِمَ خَطَطْتُ هذه الخطوط؟

قالوا: لا.

قال: أفضل نساء الجنة أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مُزاحم (١).

خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ هي زوجة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢. قَالَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«كَمَلٌ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣٢٢/١)، وصححه محققوه.

امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» (١).

عائشة هي زوجة النبي محمد ﷺ، والثريد نوع من أطيب الطعام.

٣. قَالَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ:

«خَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ» (٢).

يعني بقوله (خير نساؤها) أي نساء الجنة.

٤. وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ، زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا

فَاطِمَةَ عَامَ الْفَتْحِ فَنَاجَاهَا فَبَكَتُ ثُمَّ حَدَّثَهَا فَضَحِكْتُ، فَلَمَّا تُوِّفِّي رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ سَأَلْتُهَا عَنْ بُكَائِهَا وَضَحِكِهَا فَقَالَتْ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ أَنَّهُ يَمُوتُ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا

مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ فَضَحِكْتُ» (٣).

أي أنها ستكون سيدة نساء أهل الجنة، إلا مريم بنت عمران فهي أعلى

منها في المنزلة.

(١) رواه البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٢)، ومسلم (٢٤٣٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٣٨٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٥٦).

تم بحمد الله الفصل الثاني: «الأحاديث الواردة عن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فضائل مريم ابنة عمران»، ويليه الفصل الثالث: «قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم كما وردت في (القرآن)».

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.



الفصل الثالث:

قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم كما وردت في «القرآن»

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ۖ ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۗ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ۗ ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۗ ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۗ ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبَلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۗ ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۗ ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَلِّطْ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ۗ ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۗ ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۗ قَالُوا لِمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۗ ﴿٢٧﴾ يَا خُتَّةُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ۗ ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۗ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِ صَبِيًّا ۗ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۗ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۗ ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۗ ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۗ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ

يَمْتَرُونَ ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴿١﴾.

شرح الآيات الكريمة

ذَكَرَ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْقِصَّةَ بَعْدَ قِصَّةِ زَكَرِيَّا، فَقَدْ كَانَ زَكَرِيَّا وَابْنَهُ يَحْيَىٰ هُمَا السَّابِقَيْنِ لِلْمَسِيحِ، وَلَيْسَ بَيْنَ يَحْيَىٰ وَالْمَسِيحِ نَبِيٍّ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمَا فِي سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ»، وَقَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ فِي السُّورَتَيْنِ، كَمَا قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي سُورَةِ «الْأَنْبِيَاءِ» فَقَالَ: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، وَيْحَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، وَزَوَّجْنَاهُ بِإِثْنِهِمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ (٢).

فقوله ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني بها مريم، نبه الله إلى براءتها مما قذفها به اليهود، فقال إنها أحصنت فرجها من فعل الحرام وهو الزنا.

ومما ينبغي التنبيه إليه أيضاً أن قصة زكريا وابنه يحيى كانت من الآيات والقصص العجيبة، حيث رزق الله زكريا الولد مع كونه كبيراً في السن، وكانت

(١) سورة مريم: ١٦ - ٣٧.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٩ - ٩١.

زوجته عجوزاً، إضافة إلى كونها عاقراً، أي عقيماً لا تلد أصلاً، ثم انتقل السياق من هذه القصة إلى ما هو أعجب منها، وهي قصة مريم، حيث رزقها الله ولداً بدون أب، فصارت قصة زكريا كالمقدمة بين يدي قصة مريم، والتَّوَطُّة لها، وهذا من خصائص القرآن وعجائبه، وهو التدرج الذهني عند القارئ ليسهل الإيمان والتصديق بما سيأتي ذكره، كل هذا بأسلوب شيق أخاذ بالقلوب، فالحمد لله على نعمة القرآن.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَرْيَمَ جَعَلْتَهَا أُمَّهَا مُحَرَّرَةً، تَخْدُمُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَأَنَّ زَوْجَ خَالَتِهَا (زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَفَلَهَا، وَهُوَ نَبِيُّ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَنَّهُ اتَّخَذَ لَهَا مِحْرَابًا، وَهُوَ الْمَكَانُ الشَّرِيفُ مِنَ الْمَسْجِدِ، لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا سِوَاهُ، وَأَنَّهَا اجْتَهَدَتْ فِي الْعِبَادَةِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ نَظِيرٌ فِي فُنُونِ الْعِبَادَاتِ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ مَا غَبَطَهَا بِهِ زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهَا خَاطَبَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِالْبِشَارَةِ لَهَا بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ لَهَا، وَبِأَنَّهُ سَيَهَبُ لَهَا وَلَدًا زَكِيًّا، يَكُونُ نَبِيًّا كَرِيمًا طَاهِرًا مُكْرَمًا، مُؤَيَّدًا بِالْمُعْجَزَاتِ، فَتَعَجَّبَتْ مِنْ وُجُودِ وَلَدٍ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ، لِأَنَّهَا لَا زَوْجَ لَهَا، وَلَا هِيَ مِمَّنْ تَتَزَوَّجُ، لِأَنَّهَا مُحَرَّرَةٌ لخدمة بيت المقدس والعبادة فيه على الدوام، فَأَخْبَرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ (كُنْ) فَيَكُونُ، فَاسْتَكَانَتْ لِذَلِكَ وَأَنَابَتْ وَسَلَّمَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَلِمَتْ أَنَّ هَذَا فِيهِ مِحْنَةٌ عَظِيمَةٌ لَهَا، فَإِنَّ النَّاسَ سَيَتَكَلَّمُونَ فِيهَا بِسَبَبِهِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى ظَاهِرِ الْحَالِ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ وَلَا تَعْقُلٍ.

قوله ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، هذا من أعظم فضائلها، أن تُذكر في الكتاب العظيم الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وهو القرآن، فتُذكر فيه بأحسن الذكر وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل وسعيها الكامل، فبدأ القرآن بذكر قصتها بقوله عنها إنها ﴿أَنْبَذَتْ﴾ أي: تباعدت عن أهلها وانفردت وذهبت إلى ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: مما يلي الشرق عنهم.

وَكَانَتْ مَرْيَمُ تَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي زَمَنٍ حَيْضُهَا، أَوْ لِحَاجَةِ ضَرُورِيَّةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا، مِنْ اسْتِقَاءِ مَاءٍ أَوْ تَحْصِيلِ غِذَاءٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ يَوْمًا خَارِجَةً لِبَعْضِ شَأْنِهَا، مَنْفَرْدَةً وَحِدهَا شَرْقِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى؛ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا الرُّوحَ الْأَمِينَ، جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَيِّدَ الْمَلَائِكَةِ، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٧، أي: كاملاً من الرجال، في صورة جميلة، وهيئة حسنة، لا عيب فيه ولا نقص، ولم يرسله الله في صورته الحقيقية، لأنها بطبيعتها البشرية لا تحتمل رؤيته على صورته الحقيقية، له ستمائة جناح.

فَلَمَّا رَأَتْهُ ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨، أي أنها لما رآته في هذه الحال وهي معتزلة عن أهلها خافت أن يكون رجلاً يريد أن يتعرض لها بسوء، ويطمع فيها، فاعتصمت بربها واستعاذت منه فقالت ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٧، أي: ألتجئ بالله وأعتصم به أن تنالني بسوء، ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨، أي: إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه فاترك التعرض لي، فجمعت مريم بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى.

ومما ينبغي التنبه إليه هو أن خوف مريم من جبريل يدل على عفتها، وقد أثنى الله عليها بهذه الصفة في القرآن في موضعين فقال: ﴿وَمَرِيماً ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

فليتأمل القارئ الكريم كيف أن الله كافأ مريم عليها السلام على عفتها عن الزنا بأن رزقها ولداً، وهو النبي العظيم عيسى عليه السلام، أرسله الله إلى أمة عظيمة، وهي بنو إسرائيل، وآتاه الإنجيل فيه هدى ونور.

فقال لها جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾، أي: لست بيسرٍ ولكني ملكٌ أرسلني الله إليك، ﴿لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾، وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة، فقالت مريم متعجبة ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أي: كيف يكون لي غلامٌ، ﴿وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بَشَرٍ وَلَمْ أَكُ بِغَيًّا ﴿٢٠﴾﴾ أي: ولست ذات زوج، وما أنا ممن يفعل الفاحشة، فأجابها جبريل قائلاً: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: هذا قضاء ربك، أمر وقدّر بأن يخلق منك غلاماً بطريقة خارقة للعادة، بأن يكون منك ولد بدون اتصال برجل، وقال ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: وهذا سهلٌ عليه، ويسيرٌ لديهِ، فإنه على كل شيء قديرٌ، فخلق السماوات والأرض أعظم من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وقوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: ولنجعل خلقه، والحالة هذه، من

أُنْثَىٰ بِلَا ذَكَرٍ، دَلِيلًا عَلَىٰ كَمَالِ قُدْرَتِنَا عَلَىٰ أَنْوَاعِ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَىٰ، وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَىٰ، وَخَلَقَ عِيسَىٰ مِنْ أُنْثَىٰ بِلَا ذَكَرٍ، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الْخَلْقِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ أَي: نَرَحْمُ بِهِ وَالِدَتَهُ وَنَرْحَمُ بِهِ الْعِبَادَ، بِأَنْ يَدْعُوَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي صِغَرِهِ وَفِي كِبَرِهِ، وَيُنَزِّهُهُ عَنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ وَالشُّرَكَاءِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْأَضْدَادِ وَالْإِنْدَادِ، وَيَكُونُ هَذَا سَبِيلًا وَسَبَبًا لَهُمْ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ١١، يَعْنِي أَنَّ هَذَا أَمْرٌ قَدْ فَضَاهُ اللَّهُ وَحَتَمَهُ وَقَدَّرَهُ وَقَرَّرَهُ، فَلَا مَفْرَءَ مِنْ وَقُوعِهِ.

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن جبريل نفخ في جيب درعها (١)، فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها، كما تحمّل المرأة عند جماع زوجها، ومن قال إنه نفخ في فمها أو في صدرها فقد أخطأ، بل نفخ في جيب درعها، ولم يُواجه فرجها، فأنسلكت النفخة فيه إلى الرحم (٢)، كما قال

(١) الدرع هو القميص. انظر «النهاية».

(٢) الذي يُصدّق أن الماء الذي يخرج من فرج الذكر إلى فرج المرأة يتحول إلى إنسان آخر يسمع ويبصر ويمشي؛ ليس صعباً عليه أن يُصدق بأن الله يخلق من النفخة، لأن كلا الأمرين فوق قدرة البشر، ولا يقدر عليهما إلا الرب وحده.

تَعَالَى: ﴿فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾^(١)، فلما وصلت النفخة إلى رَحِمِهَا قال الله: (كن) فكان عيسى في رَحِمِ أُمِّهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أَي حَمَلَتْ بَوْلَدِهَا، ﴿فَأَنْبَتَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾، أي ذهبت إلى ناحية قاصية بعيداً عنهم لئلا تراهم ولا يروها، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ حَمَلَتْ هَمًّا عَظِيمًا، لِعِلْمِهَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ سَيَكُونُ مِنْهُمْ كَلَامٌ فِي حَقِّهَا مِنْ جِهَةِ شَرَفِهَا، وَأَنَّهَا سَتَتَّهَمُ بِأَنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ طَرِيقِ الزَّوْنِ، لَكُونِهَا لَيْسَتْ مَتَزَوِّجَةً، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِعْلًا، فَإِنْ رَجُلًا مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ النَّجَّارُ، وَكَانَ ابْنُ خَالِهَا، تَعَجَّبَ مِنْ حَمَلِهَا عَجَبًا شَدِيدًا، وَذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ دِيَانَتِهَا وَنَزَاهَتِهَا وَعِبَادَتِهَا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرَاهَا حَامِلًا وَلَيْسَ لَهَا زَوْجٌ، فَعَرَّضَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْكَلَامِ، فَقَالَ: يَا مَرْيَمُ، هَلْ يَكُونُ زَرْعٌ مِنْ غَيْرِ بَذْرٍ؟!

قَالَتْ: نَعَمْ، فَمَنْ خَلَقَ الزَّرْعَ الْأَوَّلَ؟!

ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ شَجَرٌ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ وَلَا مَطَرٍ؟!

قَالَتْ: نَعَمْ، فَمَنْ خَلَقَ الشَّجَرَ الْأَوَّلَ؟!

ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ؟!

قَالَتْ: نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى.

قَالَ لَهَا: فَأَخْبِرِينِي خَبْرَكَ.

فَقَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ بَشَّرَنِي ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴿١﴾. وَيُرَوَى مِثْلَ هَذَا عَنْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ سَأَلَهَا فَأَجَابَتْهُ بِمِثْلِ هَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فالحاصل أن مريم حملت به تسعة أشهرٍ كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن، إذ لو كان حملها خلاف ذلك لذكر، ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ ﴿٤٧﴾ أَي: فَالْجَأَهَا وَاضْطَرَّهَا أَلَمُ الْوِلَادَةِ إِلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ، ﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ ﴿٤٨﴾، وذلك أنها تذكرت كلام الناس الذي ينتظرها، وَأَنَّ النَّاسَ سَيَتَهَمُونَهَا وَلَنْ يُصَدِّقُوهَا، بَلْ سَيُكَذِّبُونَهَا حِينَ تَأْتِيهِمْ بِغُلَامٍ عَلَى يَدَيْهَا، فَتَمَنَّتْ أَنَّهَا مَاتَتْ قَبْلُ وَكَانَتْ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا فَلَا تُذَكَّرُ، مَعَ أَنَّهَا قَدْ كَانَتْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَابِدَاتِ النَّاسِكَاتِ، الْمُجَاوِرَاتِ فِي الْمَسْجِدِ، الْمُتَقَطِّعَاتِ إِلَيْهِ، الْمُعْتَكِفَاتِ فِيهِ، وَمِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَالِدِيَانَةِ، فَحَصَلَ لَهَا مِنَ الْهَمِّ مَا تَمَنَّتْ أَنَّهَا مَاتَتْ قَبْلَ هَذَا الْحَالِ أَوْ كَانَتْ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا، أَي: لَمْ تُخَلَقْ بِالْكُلِّيَّةِ.

قَوْلُهُ: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ﴿٤٩﴾، هذه معجزة إلهية

ثانية، فإنه لما تمت الولادة وخرج المسيح من بطن أمه وسمع كلامها؛ كلمها قائلاً: لا

تحزني، قد جعل ربك تحتك سرّياً، وهو النهر، اشربي منه كما تريدن.

﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾^(٥)، أي: كُلِّي مِنَ الرُّطْبِ، فَذَكَرَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ^(١): (لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا لِلنَّفْسَاءِ مِنَ التَّمْرِ وَالرُّطْبِ)، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.

ثم قال: ﴿فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(٦)، في هذه الآية بيان شيء من برّ المسيح بأمه في أول حياته، حيث إنه طمأنها فقال لها ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾، أي كوني قريرة العين مطمئنة، وأرشدتها فقال لها إن رأيت أحداً من الناس فقولي له عن طريق الإشارة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(٦) أي: إني نذرت أن أصوم فلا أكلم الناس، وكان من صومهم في شريعته الصمت، وترك الطعام أيضاً.

وأما في شريعة الإسلام فالصوم هو الإمساك عن الشراب والطعام والجماع من الفجر إلى غروب الشمس.

فبهذا طمأن عيسى أمه مريم، فحصلت لها السلامة من ألم الولادة، وحصل لها المأكل والمشرب وطمأنينة القلب، فصدق الله وعده، أن كان المسيح حناناً على أمه مريم عليها السلام منذ ولادته.

فلما طمأن المسيح أمه رجعت إلى قومها غير مبالية ولا مكترثة، فحصل

(١) هو أحد الثقات العبّاد، له ترجمة في كتاب «تقريب التهذيب».

ما توقعت، قال الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلاً ۗ قَالُوا يَكْمِرُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيئاً ﴿٢٧﴾ يَأْخُذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيئاً ﴿٢٨﴾﴾، لَمَّا رَأَى النَّاسُ مَرْيَمَ تَحْمِلُ مَعَهَا وَلَدَهَا ﴿قَالُوا يَكْمِرُمْ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيئاً ﴿٢٧﴾﴾، أَي: فَعَلْتِ فِعْلاً عَظِيماً وَخِيماً، وَأَرَادُوا بِذَلِكَ اتِّهَامَهَا بِالزَّانَا، حَاشَاهَا مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالُوا لَهَا: ﴿يَأْخُذَ هَرُونَ﴾، قَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لَهَا أَخٌ اسْمُهُ هَارُونَ، وَكَانَ مَشْهُوراً بِالذِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ، وَكَانُوا يَكْثُرُونَ التَّسْمِيَةَ بِهَارُونَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ أَبْنَاءَهُمْ بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ^(١)، وَمِنْهُمْ هَارُونَ أَخُو مُوسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

قَالُوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيئاً ﴿٢٨﴾﴾، أَي: لَسْتِ مِنْ بَيْتِ شَيْمَتُهُمْ ارْتِكَابِ الزَّانَا، لَا أَحُوكِ وَلَا أُمُّكِ وَلَا أَبُوكِ، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّرِيَّةَ فِي الْغَالِبِ تَتَقَارَبُ مَعَ بَعْضِهَا فِي الصَّلَاحِ وَضَدِهَا، فَتَعْجَبُوا مِنْ حُصُولِهَا عَلَى الْوَلَدِ بِحَسَبِ مَا قَامَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الظَّنِّ الْفَاسِدِ، وَلَمْ يَتَمَهَّلُوا فَيَسْأَلُوهَا مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْوَلَدُ، فَاتَّهَمُوهَا فَوْراً بِارْتِكَابِ الزَّانَا، الَّذِي هُوَ الْفَاحِشَةُ الْعُظْمَى، وَالذَّاهِيَّةُ الدَّهْيَاءُ.

الحاصل أنه لَمَّا ضَاقَ الْحَالُ بِمَرْيَمَ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ ﴿أَيِ إِلَى الْوَلَدِ فِي مَهْدِهِ، أَشَارَتْ إِلَيْهِ أَنَّ خَاطِبُوهُ وَكَلِّمُوهُ وَخَذُوا مِنْهُ الْخَبْرَ، فَإِنَّ جَوَابَكُمْ عِنْدَهُ،

(١) جاء هذا الخبر في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم (٢١٣٥) عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لأنها صائمة عن الكلام كما تقدم، فَعِنْدَهَا قَال بَعْضُهُمْ: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ﴿٢٩﴾ أَي: كَيْفَ تُحِيلِينَا فِي الْجَوَابِ عَلَى صَبِيٍّ رَضِيعٍ فِي الْمَهْدِ لَا يَعْقِلُ الْخِطَابَ، مَا هَذَا مِنْكَ يَا مَرْيَمُ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّهَكُّمِ بِنَا وَالِاسْتَهْزَاءِ، وَالتَّنْقِصِ لَنَا وَالِازْدِرَاءِ، إِذْ لَا تُرَدِّينَ عَلَيْنَا قَوْلًا نُطَقِيًّا، بَلْ تُحِيلِينَ فِي الْجَوَابِ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، فَعِنْدَهَا تَكَلَّمَ عَيْسَى وَقَالَ ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾، هَذَا أَوَّلُ كَلَامٍ تَفَوَّهَ بِهِ الْمَسِيحُ أَمَامَ النَّاسِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، فِي هَذَا اعْتِرَافَ الْمَسِيحِ لِرَبِّهِ تَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ، فَتَزَهَّ جَنَابَ اللَّهِ عَنِ قَوْلِ الظَّالِمِينَ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ إِلَهٌ، وَأَنَّهُ رَبٌّ، وَأُثْبِتَ وَأَقَرَّ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَابْنُ أُمَّتِهِ (١).

ثم قال: ﴿ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٣٠﴾، أَي قَضَى بِإِعْطَائِي الْكِتَابَ، وَهُوَ الْإِنْجِيلُ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَفِي هَذَا شَهَادَةٌ مِنْهُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ، كَمَا أَنَّ فِي هَذَا تَبَرُّتَهُ ضَمْنِيَّةً لِأَمِّهِ مِنَ الزَّانَا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْطِي النَّبُوَّةَ مَنْ كَانَ ابْنُ زَانَا كَمَا زَعَمُوا، لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَقَبَّحَهُمْ.

ثم قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أَي: وَجَعَلَنِي عَظِيمَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ

(١) أُمَّتُهُ أَي مَمْلُوكَتُهُ، وَكُلَّ النَّاسِ مَمْلُوكِينَ لِلَّهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ

مَمْلُوكٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

حيثما كنت، فقد كان يدعو إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُنزِّهَ جَنَابَهُ عَنِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ.

ثم قال المسيح لهم: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ ٣١، وَهَذِهِ وَظِيفَةُ الْعَبِيدِ تَجَاهَ رَبِّهِمْ وَمَوْلَاهُمْ فِي الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، وَأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلِيقَةِ بِالزَّكَاةِ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى طَهَارَةِ النُّفُوسِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَتَطْهِيرِ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ بِالْعَطِيَّةِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَحْتَاجِينَ، عَلَى اخْتِلَافِ الْأَصْنَافِ، وَإِكْرَامِ الْأَضْيَافِ، وَالنَّفَقَاتِ عَلَى الْقَرَابَاتِ، وَسَائِرِ وُجُوهِ الطَّاعَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ.

ثم قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ ٣٢ أَي: وَجَعَلَنِي بَرًّا بِوَالِدَتِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَأَكَّدَ حَقُّهَا عَلَيْهِ، إِذْ لَا وَالِدَ لَهُ سِوَاهَا، وَلَا وَلَدَ لَهَا سِوَاهَا، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلِيقَةَ، وَأَعْطَى كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا.

ثم قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ٣٣ أَي: لَسْتُ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا يَصْدُرُ مِنِّي قَوْلٌ وَلَا فِعْلٌ يُنَافِي أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ.

ثم قال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ٣٤، معنَى السَّلَامِ أَي الْأَمَانِ وَالسَّلَامَةِ، فَيَكُونُ مَعْنَى السِّيَاقِ هُوَ السَّلَامَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شُرُورِ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ، حِينَ وَوَلادته لَمَّا سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ نَخْسِ الشَّيْطَانِ، وَحِينَ الموت، وَحِينَ البعث يوم القيامة، فَيَكُونُ سَالِمًا مِنَ النَّارِ وَمِنْ

فزع يوم القيامة، وأنه من أهل الجنة دار السلام.

فلما قال المسيح وهو في مهده مقالته زال الشك عنهم، والحمد لله. (١)

ثُمَّ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّتَهُ، وَبَيَّنَّ أَمْرَهُ وَوَضَّحَهُ وَشَرَحَهُ؛ قَالَ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾، أي: ذلك الذي قصصنا عليك صفته وخبره يا محمد هو حقيقة المسيح عيسى ابن مريم، من غير شك ولا مريية، بل هو قول الحق الذي تمارى فيه اليهود والنصارى، أي تجادلوا وتخاصموا، وهو الخبر اليقيني عن حقيقة المسيح، وكل ما قاله اليهود والنصارى في المسيح مما يخالف هذا القول فإنه باطل، كقول اليهود عنه إنه ابن زنا، وأن أمه زنت مع يوسف النجار، وكذلك أقوال النصارى الثلاثة المضطربة المشهورة فهي كلها باطلة، وهي قول بعضهم إنه الله، وقول آخرين إنه ابن الله، وقول طائفة ثالثة إنه ثالث ثلاثة، فهذه الأقوال كلها مضطربة وغير متفقة، ليست من قول رب البشر وهو الله، بل هي من قول البشر وظنونهم، وهي السبب في انقسامهم إلى فرق وطوائف مختلفة في ماهية المسيح وأمه.

وللعلم؛ فإن أقوال النصارى هي من أثر دخول بولس اليهودي إلى دين

(١) ولكن بعد بعثة المسيح نبياً وهو في سن الثلاثين حسده اليهود على نبوته، فقالوا عنه قولاً عظيماً، قالوا إنه ابن زنا، وأن أمه زنت مع يوسف النجار ابن خالتها، فبرأها الله من ذلك في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

المسيح نفاقاً، فقد دخل في دين النصارى بعد رفع المسيح فأفسد دينه فساداً عظيماً، وحرّفه حتى تحول إلى وثنية محضّة تدور على عبادة الصلبان والصُّور والتمثيل، وعبادة المسيح وأمه، وترك عبادة الله وحده، التي هي رُوح دين المسيح ابن مريم الصافي قبل أن يطرأ عليه هذا التحريف والتغيير.

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ (تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ): «إِنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ تَفَرَّقَتْ أَصْحَابُهُ شَيْعًا^(١) بعده، فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله، وابنُ أُمَّتِهِ^(٢)، ومنهم مَنْ غَلَا^(٣) فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله، وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة، وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن، وَرَدَّ عَلَى كُلِّ فَرِيقٍ». انتهى كلامه رَحْمَةُ اللَّهِ^(٤).

ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ: فقد رد الله عليهم بقوله ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ^(٣٦)، أي: ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ من عباده وخلقِهِ ولدًا، تنزّه وتقدّس عن ذلك، بل إذا قضى أمرًا من الأمور وأراده فإنه لن يمتنع عليه، وإنما يقول له:

(١) أي طوائف وفرقًا.

(٢) الأمة هي المملوكة، يقابلها العبد وهو المملوك، والمقصود أن المسيح وأمه مريم كلهم عبيد مملوكين لله، كغيرهم من البشر، ليس لهم شيء من خصائص الألوهية والربوبية.

(٣) غلا فيه أي عظّمه فوق الحد المشروع.

(٤) تفسير سورة آل عمران: الآية ٥٥.

«كن»، فيكون ذلك الأمر كما يشاؤه ويريده.

وهذا كما قال تعالى بعد ذكر قصته في سورة آل عمران: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ ۖ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ (١).

ثم قال المسيح لقومه وهو في مهده ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾: أي: وإن الله الذي أدعوكم إلى عبادته هو وحده ربي وربكم، فاعبدوه وحده لا شريك له، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع لله، هذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

ثم قال الله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ أي: فاختلف أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه، فمن قائل من اليهود: إنه ولد زنية، واستمروا على كفرهم وعنادهم إلى يومنا هذا، وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله، وقال المؤمنون المستقيمون على العقيدة الصحيحة: هو عبد الله ورسوله وابن أمته.

والقائلون بأن المسيح بشر رسول هُم النَّاجُونَ الْمُثَابُونَ، الْمُؤَيَّدُونَ
الْمَنْصُورُونَ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا فَهُمُ الْكَافِرُونَ الظَّالِمُونَ، الضَّالُّونَ الْجَاهِلُونَ،
وَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ
عَظِيمٍ﴾^(٢٧)، أي يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

ثم ختم الله هذا المقطع عن قصة مريم وابنها المسيح فقال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢٨):

أي ما أشدَّ سَمْعَهُم وبصرهم يوم القيامة، يومَ يقدِّمون على الله، حين لا
ينفعهم ذلك، لكن الظالمون اليوم في هذه الدنيا في بُعدٍ بينٍ عن الحق.

توضيح معنى وَصَفِ اللهُ لِلْمَسِيحِ بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحٌ مِنْهُ

وَصَفَ اللهُ الْمَسِيحَ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحٌ
مِنْهُ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ وَأَنْ
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٢٩) (١).

وقال الله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ

الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٩﴾ (١).

وقال الله تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَدَتْ فَرْجَهَا فَفَخَّخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (٢).

كما جاء وصف المسيح عيسى ابن مريم بأنه كلمة الله وروح منه في كلام النبي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» (٣).

وفي رواية: «... أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ». (٤)

ومعنى كون المسيح كلمة الله أي أن المسيح خلقه الله بكلمة تكلم بها فكان بها المسيح في بطن أمه من غير أب، وهي كلمة (كن)، فهذه هي الكلمة التي خُلِقَ بها المسيح ووجد، وهذا الإعجاز الرباني في الخلق مماثل لخلق أبينا آدم، فقد خلق الله أبانا آدم بكلمة (كن)، فكان آدم، ولم يكن له أم ولا أب، كما

(١) سورة آل عمران: ٤٥.

(٢) سورة التحريم: ١٢.

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٥).

(٤) رواه مسلم (٢٨).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

ومعنى قوله ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، أي أن رُوح المسيح هي من الأرواح التي خلقها الله تعالى، مُبتدؤها من عند الله لأنه خالقها، كُرُوح غيره من الناس. ومَن كانت روحه مخلوقة فلا يمكن أن يكون ربًّا، لأن الرب لا يكون مخلوقًا بل خالقًا.

وفي إضافة الكلمة إلى الله في وصف المسيح بأنه (كلمة الله)، وكذلك في إضافة الرُّوح إلى الله في وصف المسيح بأنه (رُوحٌ منه)؛ تنويهٌ إلى شرف المسيح، حيث أضاف الله الكلمة والرُّوح إلى ذاته المقدسة، فقال (رُوحٌ منه)، (كَلِمَتُهُ).

فائدة في بيان الحكمة من خلق المسيح من أمّ بلا أب

الحِكْمَةُ مِنْ خَلَقَ الْمَسِيحَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا دَلَالَةٌ وَعَلَامَةٌ
لِلنَّاسِ عَلَى أَمْرَيْنِ:

الأمر الأول: كمالُ قُدْرَةِ اللَّهِ الَّذِي نَوَّعَ فِي خَلْقِهِمْ، فَخَلَقَ أَبَاهُمْ آدَمَ مِنْ غَيْرِ
ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الذَّرِّيَّةِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى،
إِلَّا الْمَسِيحَ فَإِنَّهُ أَوْجَدَهُ مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ، وَلَيْسَ
هَذَا عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، فَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ بَشَرًا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، كَمَا هُوَ حَالُ سَائِرِ الْبَشَرِ، وَقَدْ
يَخْلُقُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، كَحَالِ أَبِيْنَا آدَمَ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، كَحَالِ
أُمَّنَا حَوَاءَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ، كَحَالِ
الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِنَ الرَّجُلِ الْكَبِيرِ وَمِنَ الْأُمِّ الْعَاقِرِ، كَحَالِ الْأَنْبِيَاءِ
إِبْرَاهِيمَ وَزَكَرِيَّا، وَقَدْ لَا يَخْلُقُ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى شَيْئًا، لَا ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى، كَحَالِ
مَنْ بِهِ عَقْمٌ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِنَ الزَّوْجَيْنِ ذُكُورًا بِلَا إِنَاثٍ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِنْهُمَا إِنَاثًا بِلَا
ذُكُورٍ، وَقَدْ يَخْلُقُ مِنْهُمَا إِنَاثًا وَذُكُورًا، فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، إِذَا

أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: (كُنْ) فَيَكُونُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِينُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢).

فالمشيئة الإلهية المطلقة هي الحكمة الثابتة في الآيات التي بشر الله بها مريم بولادة عيسى، كما قال الله تعالى عن مريم إنها قالت: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، ومع مشيئته تكون قدرته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، ولهذا قال بعدها ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ (٣).

ومن المعلوم أن كل مخلوق خلقه الله في الكون -سواء كان هذا المخلوق تابعاً للنظام الطبيعي في الخلق أو مختلفاً عنه (مثل آدم وحواء وعيسى)- فإنه يدل على عظمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**، الذي أوجده من العدم، وقد أمر الله في سورة الذاريات بالتفكير في هذه الحقيقة الهامة فقال ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٤)،

(١) سورة النحل: ٤٠.

(٢) سورة البقرة: ١١٦ - ١١٧.

(٣) سورة آل عمران: ٤٧.

(٤) سورة الذاريات: ٢١.

ومعنى الآية الكريمة:

وفي خلق أنفسكم دلائل على قدرة الله تعالى، وعبرٌ تدل على وحدانية خالقكم، وأنه لا إله لكم يستحق العبادة سواه، أعفَلتم عن هذا، فصرتم لا تبصرون حكمة الرب وغايته من الخلق؟!!

الأمر الثاني: أن خلق المسيح عيسى ابن مريم بهذه الطريقة دليل على نبوته، فقد أيده الله بمعجزات متتابعة دلت على نبوته، أولها خلقه من أم بلا أب، وسيأتي ذكر البقية في فصل: ذكر المعجزات الدالة على نبوة المسيح عيسى ابن مريم.

فائدة

ليس المسيح وحده الذي نص القرآن على أن الله خلقه من رُوحه؛ بل ذَكَرَ الله في القرآن أن أبانا آدم خلقه الله من رُوحه، وذلك في آيتين من القرآن، وهما قوله تعالى:

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (١).

كما جاء ذكر ذلك -أيضاً- في قصة أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تحية له وتكريماً، وذلك في قوله تعالى:

(١) سورة السجدة: ٩.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١).

فائدة أخرى

جاء في القرآن وصفُ النبي يحيى بن زكريا بأنه صدَّق بالمسيح عيسى ابن مريم، وعبرَ في ذلك السياق عن المسيح بوصفه (كلمة من الله)، وذلك في قوله تعالى:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهُ يَبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

ومعنى الآية أن يحيى صدَّق بكلمة من الله وهو المسيح، ابن خالته، فهو أول من آمن بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وصدَّقه.

خاطرة لطيفة

وصلتني رسالة من أحد القساوسة الصادقين في البحث عن الحق، يتكلم فيها عن موضوع (كيف يمكن أن يكون يسوع المسيح هو الله وإنساناً في نفس الوقت؟)، فأجبتُه بالرسالة التالية:

(١) سورة الحجر: ٢٩.

(٢) سورة آل عمران: ٣٩.

لا يمكن أن يكون المسيح هو الله، وقد خرج من رحم أمه، وتقلب في بطنها، وأرضعته من ثديها، ولقته في مهاده، لأن هذه صفة طفل رضيع محتاج للناس أن يقوموا برعايته، أما الله فهو غني عن البشر، لأنه خالقهم ورازقهم.

ثم إن أصحاب هذا الكلام متناقضون في كلامهم، مرة يقولون هو الله، ومرة يقولون إنه ابن الله، ومرة يقولون إنه ثالث ثلاثة، لأن تصورهم غلط من الأصل، لكونهم مُعرضين عن كلام الله وهو القرآن، ومستندين إلى كتب كتبها بشر وسموها الإنجيل، فلهذا صاروا متناقضين.

فرد عليّ هذا القسيس قائلاً:

للحق تعليقك واقعي ومقنع، وحقاً كان المسيح طفلاً صغيراً كمثل أي طفل آخر، وُلِدَ من بطن أمه، ويحتاج للرعاية، ولهذا لا يجب مني التنكر لما قلته.

خاطرة لطيفة

سألنتني إحدى الأخوات -وقد كانت راهبة نصرانية قبل دخولها في الإسلام- فقالت: هل المسلمون يحبون عيسى المسيح وأمه العذراء؟

فأجبتها بالإجابة التالية:

بلا شك ولا ريب المسلمون يحبون عيسى المسيح وأمه العذراء، وما الذي يوجب كراهتهما أصلاً، فالمسلم يحب أنبياء الله كلهم، وبُغضهم أو بُغض

واحدٍ منهم من نواقض الإسلام، ودستور المسلمين بين يديك، وهو القرآن،
أقرئي واحكمي بعقلك، واتركي كلام الناس جانباً.

انتهى بحمد الله الفصل الثالث {قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم}،
ويليه الفصل الرابع بعنوان: {الأدلة القرآنية على نبوة المسيح عيسى ابن مريم} .
وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين
إلى يوم الدين.

الفصل الرابع:

الأدلة القرآنية على نبوة المسيح عيسى ابن مريم

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ وَأَسْمِعِلْ وَأَسْحَقِ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

قولوا أيها المسلمون: صدقنا بالله الواحد المعبود بحق، وبما أنزل إلينا من القرآن الذي أوحاه الله إلى نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما أنزل من الصحف إلى إبراهيم وابنيه إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب والأسباط - وهم الأنبياء من ولد يعقوب الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة - وما أُعطي موسى من التوراة، وعيسى من الإنجيل، وما أُعطي الأنبياء جميعاً من وحي ربهم، لا نفرق بين أحد منهم في الإيمان، ونحن خاضعون لله بالطاعة والعبادة.

(١) سورة البقرة: ١٣٦.

تنبيه:

ينبغي التنبيه إلى أن المسلمين يؤمنون بالنص الأصلي الذي نزلت به تلك الكتب (التوراة، الإنجيل، الزبور)، ولكن تلك النصوص الأصلية قد تعرضت للضياع والتحريف والتغيير على مر القرون، مما أدى إلى تحريف نفس الرسائل التي جاء بها أولئك الأنبياء، والواقع شاهد على صحة هذا، فالإنجيل الأصلي «الكتاب المقدس» الذي كان بيد المسيح عيسى ابن مريم والحواريين لم يُحفظ، وليس له وجود بعد رفع المسيح، وقد حُلَّ مكانه أربعة أناجيل كتبها أربعة أشخاص (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وملحقٌ معها ثلاثة وعشرون رسالة، كلها قد أُلِّفت بعد رفع المسيح، فيكون المجموع سبعةً وعشرين سفرًا.

وقد تم تدوين هذه الأناجيل الأربعة من سنة ٣٧م إلى سنة ١١٠م، وهؤلاء الأربعة لم يثبت أن التقوا بالمسيح ولو للحظة واحدة، بل كتبوها بعد رفعه إلى السماء بزمن، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير.

وإذا أُضيفت أسفار العهد القديم الستة والأربعون (المكونة من التوراة وغيرها) إلى أسفار العهد الجديد (الإنجيل) السبعة والعشرين صار مجموع الأسفار ثلاثة وسبعين، يؤمن البروتستانت بستة وستين منها، ولا يؤمنون بالبقية، بينما يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك بها كلها.

يضاف إلى ذلك أن هذه الأناجيل الأربعة يتم تحديثها بشكل مستمر من

قَبَل متخصصين في الأناجيل، ويكتشف هؤلاء المتخصصون -بحسب قولهم- أن هناك عبارات مُقحمة في النص الأصلي منها، فيُخرجون نسخة جديدة من الأناجيل revision يقولون إنها منقَّحة من تلك العبارات التي اكتشفوا أنها مقحمة في النص، فبناءً على هذا لا يستطيع باحث أو عالم منصف أن يقول إن الأناجيل الأربعة محفوظة كما هي كما كتبها مؤلفوها، فضلاً عن أن يقولوا إنها -أو واحد منها- تُمثِّل النص الأصلي للإنجيل الذي كان بيد المسيح والحواريين، الذي هو في الحقيقة كلام الله.

فبناءً على هذا فإن الرجوع إلى هذه الكتب التي تسمى أناجيل والاعتماد عليها لمعرفة رسالة المسيح عيسى ابن مريم الأصلية خطأ فادح، لأنه كلامٌ بشري (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، وإذا كان كلام بشر فمن الطبيعي أن يعتريه الصواب والخطأ، لأن البشر فيهم صفة النقص، فهو مثل كتب التاريخ ونحوها، وليس هو كتاب الله المقدس «الإنجيل الأصلي» الذي أنزله الله على المسيح عيسى ابن مريم، ولو أن هذه الأناجيل التي يتداولها النصارى «المسيحيون» هي فعلاً الإنجيل الأصلي لَمَا تعددت وتناقضت فيما بينها، لأنه من المعلوم قطعاً أن الإنجيل الذي كان بيد المسيح إنما هو كتاب واحد، وكذلك الأمر يقال بالنسبة للتوراة.

ولكن هناك فائدة قليلة من يتفطن لها وهي أن هذه الأناجيل الأربعة وغيرها فيها إشارات إلى أن المسيح بشر رسول، وأنه ليس إلهاً ولا ابن الإله،

ولا ربًّا ولا ابن الرب. (١)

كما أن فيها ثمانية وعشرين إشارة إلى نبوة محمد، نبي الإسلام، وأنه نبي فعلاً، أرسله الله إلى الناس كافة بدين الإسلام. (٢)

وفيهما كذلك إشارات عديدة إلى أن المسيح لم يصلب، بل رفعه الله إليه معزّزاً مكرّماً محفوظاً من أذى اليهود، دون أن يمسه أذى.

وفيهما -أيضاً- إشارات عديدة إلى أنه ليس هناك خطيئة متوارثة من آدم أبي البشر، بل الناس يولدون طاهرين ليس عليهم ذنب لا من أبيهم آدم ولا من غيره. (٣)

وهذا الشيء ربما يعرفه بعض القساوسة في داخل نفوسهم، ولكنهم -مع

(١) انظر هذه الأدلة الإنجيلية في كتاب: (هل المسيح رب؟)، وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

(٢) انظر هذه الأدلة الإنجيلية في كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وانظر أيضاً: كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلاً على وجود النبي المُبَشَّر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم - بيروت.

(٣) انظر كتاب «أربعون دليلاً على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح»، وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

الأسف - لا يقبلون أن يناقشهم فيه أحد من الناس (الرعية) مناقشة عقلية لأنهم يعجزون عن إجابته، ولأنه إذا انكشف فإنه سيهدم كيانهم من الأساس، فلهذا يلجئون إلى التحايل على عقول الناس بالترغيب والترهيب، فتارة يقولون للرعية إنهم ليس لهم حق في السؤال، وإذا حصل إلحاح من السائل ورأوا فيه الجرأة والشجاعة استعملوا معه أسلوب الإرهاب، فيهددونه بالقتل، ويسجنونه في الكنيسة، ويضربونه ضرباً مبرحاً من قبل أناس مخصصين لهذه المهمة (الشريفة)، وإذا كان السائل امرأة أخذوها عندهم واغتصبوها واستمتعوا بجسدها، وضربوها ضرباً عنيفاً، فالخط الأحمر عند رجال الكنيسة هو العلم والفهم والسؤال والافتناع، والخط الأخضر عندهم هو الانقياد والتبعية والتقليد الأعمى، ومن خالف ذلك شبراً فسيعرف مصيره بين عصابات الكنيسة المخصصين لهذه المهمة.

ومع هذا فقد انتبه لهذا الكيد الكنائسي بعض من عنده أنفة وثقافة ووفور عقل، فمحصّ كلامهم بنفسه، وسأل عن الدين الحق، وقارن بين هذا وهذا، ووصل إلى النتيجة بنفسه، ثم تبين له الدين الصحيح من الدين الخطأ، لأن الإنسان إذا كان صادقاً بينه وبين ربه (الله) فإن الله لن يتركه حائرًا، بل سيُدُّهُ إلى الدين الحقيقي، لأن الله رحيم بعباده، يفرح بإقبال عبده إليه.

ومن دلائل التحريف في رسالة عيسى الأصلية أنها في أصلها تدعو الناس إلى عبادة الله وحده، بينما الناظر لواقع النصارى (المسيحيين) الآن يرى أنهم

يعبدون عيسى نفسه.

وقد عقد النصارى مجامع كنائسية عديدة لحسم هذا الاختلاف فعجزوا، ثم تفرقوا وصاروا طوائف.

ولكن الله الرب الرحيم لم يترك الناس في حيرة، بل بعث نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد المسيح بستة قرون، أرسله إلى جميع البشر، وأنزل عليه القرآن، فيه هدى ونور، وبيّن حقيقة الأمر، وكشف اللبس الواقع في حقيقة عيسى ابن مريم وأمه، ودعا الناس لعبادة الله وحده، وعدم اتخاذ إله مع الله، وبيّن أن الأنبياء بشر كلهم، ليس فيهم إله ولا ابن إله، بل إن الله لم يلد ولم يولد أصلاً، وليس له صاحبة ولا ولد، ولو كان الأمر كذلك لآخبر به كل الأنبياء قبله، ولم يكن خافياً إلى ما بعد عصر المسيح بقرون.

ومن رحمة الله بعباده -أيضاً- أن الله تكفل بحفظ القرآن إلى يوم القيامة كما وعد بذلك في القرآن بقوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)، والذِّكر هو القرآن، فالقرآن محفوظ كما هو منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، لم يتغير منه حرف واحد أو نقطة واحدة، ولهذا فالعقائد التي جاء بها محفوظة غضة طرية كما أنزلها الله من السماء، لم تتغير، توافق العقل السليم، ويرتاح إليها الضمير.

وبعد بعثة النبي محمد وإلى يومنا هذا آمن من آمن من النصارى بما جاء

(١) سورة الحجر: ٩.

به محمد، فغنم الإيمان بالرسولين عيسى ومحمد، وكفر من كفر، فحسر الإيمان بالرسولين، فواعظم الخسارة!.

وقال الله تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ
وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا
كَتَبْنَا عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿١﴾.

تفسير الآية الكريمة:

أي: ثم أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسلاً آخرين، وقفينا بعيسى ابن مريم، أي أتبعناهم بعيسى، فكان على إثرهم، وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه ليناً وشفقة، فكانوا متوادين فيما بينهم، ولكنهم ابتدعوا رهبانية في العبادة، ما فرضناها عليهم، مثل ترك النكاح، فما قاموا بطاعة الله حق القيام، فآتينا الذين آمنوا منهم بالله ورسله أجرهم، وهم الذين آمنوا بعيسى وبما جاء به، ولم يحرفوا ولم يبدلوا، ولكن أكثرهم ليس كذلك، بل هم فاسقون، أي خارجون عن طاعة الله.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن عِبَادِهِمُ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَخْوَانَهُمْ وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مَن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (١).

تفسير الآيات الكريمات:

يقول الله في هذه الآيات: وَمَنَّا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَأَن رَزَقْنَاهُ إِسْحَاقَ

ابنًا، ويعقوب حفيدًا، ووفقنا كلا منهما لسبيل الرشاد.

وكذلك وفقنا للحق نوحًا من قبل مجيء إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وكذلك وفقنا للحق من ذرية نوح: داود وسليمان وأيوب ويوسف

وموسى وهارون عليهما السلام.

وكما جزينا هؤلاء الأنبياء لإحسانهم نجزي كل محسن.

وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام

من الصالحين.

وهدينا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً، وكل هؤلاء الرسل فضلناهم على أهل زمانهم، لأنهم أنبياء، والأنبياء مفضلون على سائر الناس بالنبوة. وكذلك وفقنا للحق من شئنا هدايته من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم، واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليهم، وأرشدناهم إلى طريق صحيح، لا عوج فيه، وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك. ذلك الهدى هو توفيق الله، الذي يوفق به من يشاء من عباده. ولو أن هؤلاء الأنبياء أشركوا شريكاً مع الله في العبادة (على سبيل الفرض والتقدير) لبطل عملهم، لأن الله تعالى لا يقبل مع الشرك عملاً.

وقال الله تعالى:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَيُوسُفَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

إنا أوحينا إليك أيها الرسول بتبليغ الرسالة كما أوحينا إلى نوح والنبين من

بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد يعقوب، وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وداود، وأخبر الله أنه أتى النبي داود كتاب الزبور.

وقال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

واذكر أيها النبي حين أخذنا من النبيين كلهم العهد المؤكّد بتبليغ الرسالة، وأخذنا الميثاق منك ومن هؤلاء الأنبياء المذكورين في الآية، وهم أولو العزم من الرسل، والعزم هو القوة وشدة التحمل، وأولو العزم من الرسل هم أفضل الرسل، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ومحمد، وقد بذلوا في سبيل دعوة الناس إلى عبادة الله وحده ما لم يبذله غيرهم من الأنبياء، وصبروا صبراً عظيماً، ولهذا أمر الله نبيه محمداً أن يصبر كصبرهم، قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (٢).

(١) سورة الأحزاب: ٧.

(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.



وقال الله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

شرع الله لكم أيها الناس من الدين الذي أوحيناه إلى الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو الإسلام - ما وصَّى به نوحًا أن يعمله ويبلغه، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى؛ أن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون من سواه، ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتكم به، وقد عَظُمَ على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له وكرهوا ذلك، ثم أخبر الله بأنه يصطفي للتوحيد من يشاء من خلقه، ويوفِّق للعمل بطاعته من يرجع إليه.

وقال الله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا أنصاراً لدين الله، كما كان أصفياء عيسى (وهم الحواريون) أنصاراً لدين الله حين قال لهم عيسى: مَنْ يتولّى منكم نصرتي وإعانتِي فيما يُقَرَّب إلى الله؟ فقال الحواريون وهم خُلِّص أتباعه وأفضلهم: (نحن أنصار دين الله)، فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضلّت طائفة، فأيد الله الذين آمنوا به، ونصرهم على مَنْ عاداهم، فأصبحوا ظاهرين عليهم، أي منتصرين.

تم بحمد الله الفصل الرابع: «الأدلة القرآنية على نبوة المسيح عيسى ابن مريم»،
ويليه الفصل الخامس: «ذكر المعجزات الدالة على نبوة المسيح عيسى ابن مريم».

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

إلى يوم الدين.

الفصل الخامس:

ذكر المعجزات الدالة على نبوة المسيح عيسى ابن مريم

سرد الآيات الواردة في إثبات تأييد الله للمسيح بالأدلة والمعجزات الباهرة

الدالة على نبوته

الآية الأولى - قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

ولما جاء عيسى إلى بني إسرائيل بالبينات، أي الدلائل الواضحات على نبوته؛ قال لهم: قد جئتكم بالحكمة وهي النبوة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين، فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من تقوى الله وطاعته.

(١) سورة الزخرف: ٦٣.

الآية الثانية - قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

في هذه الآية يخاطب الله بني إسرائيل فيقول لهم: ولقد أعطينا موسى التوراة، وأتبعناه برسول من بني إسرائيل، وأعطينا عيسى ابن مريم الأدلة المعجزات الواضحات الدالة على أنه رسول من عند ربه، وقوَّيناه بروح القدس وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الآية الثالثة - قال الله تعالى:

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (٢).

تفسير الآية الكريمة:

هؤلاء الرسل الكرام فضَّل الله بعضهم على بعض، بحسب ما مَنَّ الله به

(١) سورة البقرة: ٨٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٣.

عليهم من خصائص، فمنهم مَنْ كَلَّمَهُ اللهُ كَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَهُ اللهُ دَرَجَاتٍ عَالِيَةً عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ أَوْلَادِ الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، رَفَعَهُمُ اللهُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، ثُمَّ بَيَّنَّ اللهُ أَنَّهُ آتَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَيِّنَاتِ الْمَعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ، كِإِبْرَاءِ مَنْ وُلِدَ أَعْمَى بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، وَإِبْرَاءِ مَنْ بِهِ بَرَصٌ بِإِذْنِ اللهِ، وَكِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، فَهَذِهِ دَلَائِلُ عَلَى نُبُوَّتِهِ لِأَنَّهَا فَوْقَ طَوْقِ الْبَشَرِ وَقُدْرَتِهِمْ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ أَيْدَهُ اللهُ بِهَا لِتَكُونَ دَالَةً عَلَى نُبُوَّتِهِ.

ثم قال الله عن المسيح ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، وهو المَلَكُ الْعَظِيمُ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سرد الآيات الواردة

في بيان المعجزات التي أيد الله بها المسيح
لتكون دليلاً على نبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ

الآية الأولى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ
بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ۗ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ وَإِذْ تَخَلَّقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفَخُ
فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمُوتَىٰ
بِإِذْنِي ۗ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُؤُمِيبٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ ءَامِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ (١).

يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ فِي جَعْلِهِ لَهُ آيَةً لِلنَّاسِ، وَدَلَالَةً عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ
تَعَالَى، ثُمَّ إِزْسَالِهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ.

(١) سورة المائدة: ١١٠ - ١١١.

ثم قال: ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ أي: واذكر نعمتي علي والدتك في اصطفايتها واختيارها، وإقامة البرهان علي براءتها مما نسبها إليه الجاهلون، ثم قال: ﴿إِذْ آتَيْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي قويتك بروح القدس - وهو جبريل - وقرنه معك في حال رسالتك.

ثم قال: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾، أي: بعثتك تدعو الناس إلى الله في حال صغرِكَ وفي كهولتِكَ.

ثم قال: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: علمتك الخط والفهم، نصّ عليه بعض المفسرين، ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، أي وعلمتك التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾، أي: تُصَوِّرُهُ وَتُشَكِّلُهُ مِنَ الطِّينِ عَلَي هَيْئَتِهِ عَن أَمْرِ اللَّهِ بِذَلِكَ.

وقوله: ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾، أي: بِأَمْرِي، يُوكِّدُ تَعَالَى فِي كُلِّ مَرَّةٍ ذِكْرَ الْإِذْنِ لَهُ فِي ذَلِكَ، لِرَفْعِ التَّوَهُّمِ أَنَّ هَذَا كَانَ بِإِذْنِ الْمَسِيحِ وَأَمْرِهِ.

وقوله: ﴿وَتَبْرَأُ الْأَكْمَةَ﴾، قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ: هُوَ الَّذِي يُوَلِّدُ أَعْمَى، وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْأَطْبَاءِ إِلَى مُدَاوَاتِهِ، ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾، وَهُوَ الَّذِي لَا طِبَّ فِيهِ، بَلْ قَدْ مَرَضَ بِالْبَرَصِ وَصَارَ دَاوُهُ عَضَالًا.

وقوله: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾، أي تخرجهم من قبورهم أحياء بإذني.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُكُمْ مِنْهُ﴾ (١١) ﴿﴾، وَذَلِكَ حِينَ أَرَادُوا صَلْبَهُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَأَنْقَذَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، صِيَانَةً لِحَبَابِهِ الْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى، وَسَلَامَةً لَهُ مِنْ الرَّدَى. (١)

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ آمَنُوا مَا آمَنَّا بِإِنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣) ﴿﴾، قِيلَ: الْمُرَادُ بِهَذَا الْوَحْيِ وَحْيُ الْإِهَامِ أَرْشَدَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرُوا الْمَسِيحَ فِي دَعْوَتِهِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، أَنْ جَعَلَ لَهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا يَنْصُرُونَهُ وَيَدْعُونَ مَعَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ الَّذِي آتَىكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤) ﴿﴾ وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٥) ﴿﴾. (٢)

(١) ستأتي قصة رفع المسيح إلى السماء دون أن يصيبه أذى.

(٢) سورة الأنفال: ٦٢ - ٦٣.



الآية الثانية

قال الله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَاكُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۗ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا لِلَّهِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِبِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ ثُمَّ إِنِّي

مَرَجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَأَعَدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ
اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ طَّ حَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا
تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴿١﴾.

تفسير الآيات الكريمة:

يقول الله تعالى: ما كنت يا محمد حاضراً تسمع وترى حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله يُبَشِّرُكِ بولدٍ يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول: «كن» فيكون، واسمه المسيح عيسى ابن مريم، له الجاه العظيم في الدنيا والآخرة، كما أنه من المقربين عند الله في الدنيا والآخرة.

ومن آيات ابنك يا مريم أنه يكلم الناس في المهد بعد ولادته، وكذلك يكلمهم في حال كهولته لما بلغ ثلاثين سنة، كلمهم بما أوحاه الله إليه في الإنجيل، وهذا تكليم النبوة والدعوة والإرشاد، كما أنه معدود من أهل الصلاح والفضل في قوله وعمله.

فقالت مريم متعجبةً من هذا الأمر: كيف يكون لي ولد وأنا لست بذات

زوج ولست بغيًّا؟!

فقال لها المَلَكُ: هذا ليس بمستبعد على الإله القادر، الذي يُوجد ويخلق ما يشاء من العدم بقول: «كُن» فيكون ذلك الشيء.

ومن أوصاف ابنك يا مريم أن الله علمه الكتابة بدون مُعَلِّم، وعلمه الحكمة، وهي السداد في القول والفعل، وعلمه التوراة التي أوحاها الله إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلمه الإنجيل الذي أنزل الله عليه.

ومن أوصاف ابنك يا مريم أن الله سيجعله رسولاً إلى بني إسرائيل، ويقول لهم: إني قد جئتكم بعلامة من ربكم تدلُّ على أي مرسل من الله، وهي أني أصنع لكم من الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيكون طيراً حقيقياً بإذن الله، وأشفي مَنْ وُلِدَ أعمى ومَنْ به برص، وأُحيي من كان ميتاً بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وتذخرون في بيوتكم من طعامكم، أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخّر لنفسه في بيته من الأكل لغده.

إن في إعطاء هذه الأمور العظيمة التي ليست في قدرة البشر لعيسى ابن مريم لدليلاً على أنه نبي، إن كنتم مصدّقين بحجج الله وآياته، مُقرّين بتوحيده في العبادة.

وبعد حصول هذا لعيسى ابن مريم قال لقومه: وجئتكم مصدّقاً بما في التوراة، ولأحلّ لكم بأمر من الله بعض ما حرّمه الله عليكم فيها تخفيفاً من الله ورحمة، وجئتكم بحجة من ربكم على صدق ما أقول لكم، فاتقوا الله ولا

تخالفوا أمره، وأطيعوني فيما أبلغكم به عن الله.

إن الذي أدعوكم إليه هو عبادة الله وحده، هو ربي وربكم فاعبدوه، فأنا وأنتم سواء في العبودية والخضوع له وحده، وهذا هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه.

ولكن الذين كفروا من بني إسرائيل مكروا بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأن اتفقوا على قتله، فمكر الله بهم، فرفعه إلى السماء، وطهره من أذاهم، فنجى الله نبيه العظيم، والله خير الماكرين.

وهذا المكر من الله هو مكرٌ بحق، وليس من المكر الباطل الذي يفعله أهل الظلم.

ومما قال الله لعيسى: إني (مُتَوَفِّيك) أي مُتَوَفِّيك بالنوم -فإن النوم يُسمى وفاة صغرى-، ورافعك إليّ ببدنك وروحك، ومُطَهَّرَك (أي مُخَلِّصَك) من الذين كفروا بك وحاولوا قتلَك من دون أن ينالك سوءٌ، وجاعلُ الذين اتبعوك على دينك ظاهرين على الذين جحدوا نبوتك إلى يوم القيامة، ثم إليّ مصيركم جميعاً يوم الحساب، فأفصل بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمرك أيها المسيح.

فأمّا الذين كفروا بك من اليهود وأبغضوك أو غلّوا فيك من النصارى (المسيحيين) وزادوا في تعظيمك حتى قالوا إنك الله فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا، بالقتل وسلْبِ الأموال وإزالة المُلْكِ، وفي الآخرة بالنار، وما لهم من ناصر ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله.

وأما الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الأعمال الصالحة، وآمنوا بك الإيمان الصحيح، الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط، وأطاعوك أيضاً بالإيمان بمحمد، (لأن المسيح أمر بالإيمان بمحمد، وبشّر بنبوته^(١))، وأمر من أدركه أن يدخل في دينه؛ فهؤلاء أعطيتهم ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، والله لا يحب الظالمين بالشرك والكفر.

إن هذا الذي أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى وقصته لهو النبأ الحق الذي لا شك فيه، وما من معبود يستحق العبادة إلا الله وحده، وإن الله لهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وفعله.

فإن عرضوا عن تصديقك واتباعك يا محمد فهم المفسدون، والله عليهم بهم، وسيجازيهم على ذلك.

ثم قال الله مخاطباً نبيه محمداً: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْكَبِيرِ﴾ ذلك الذي نقصه عليك في شأن عيسى لهو من الدلائل الواضحة على صحة رسالتك، وصحة القرآن الحكيم الذي يفصل بين الحق والباطل.

(١) تقدمت الإشارة إلى كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وكذلك الإشارة إلى كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلاً على وجود النبي

المبشّر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم - بيروت.

ثم قال: ﴿إِثْمَ مَثَلِ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: إنَّ مَثَلَ خَلْقِ اللَّهِ لِعِيسَىٰ مِنْ غَيْرِ أَبِي كَمَثَلِ خَلْقِ اللَّهِ لآدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمَّ، إِذْ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «كُنْ» فَكَانَ آدَمُ بَشَرًا سَوِيًّا.

فدعوى إلهية عيسى لكونه خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبِي دعوى باطلة، فآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَلَا أُمَّ، ومع هذا فالجميع متفق على أنه عبد من عباد الله، وأنه بشر، ولم يقل أحد إنه ابن الرب، مع أنه ليس له أب ولا أم، فوصف المسيح بأنه بشر أولى من آدم بذلك، لأن المسيح له أمُّ على الأقل، بينما آدم ليس له أب ولا أمُّ.

ثم قال الله خاتماً هذه الآيات الواردة في بيان قصة عيسى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: إن هذا هو الحق من ربك، فلا تكن من الشاكين في أمر عيسى، وفي هذا تثبيت وطمأننة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ، وهداية لأمم اليهود والنصارى الذي اختلفوا في أمر عيسى ابن مريم اختلافاً عظيماً.

كتب المؤرخ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فائدة لطيفة في كتابه «البداية والنهاية» في

معرض كلامه عن قصة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كَانَتْ مُعْجِزَةٌ كُلِّ نَبِيٍّ فِي زَمَانِهِ بِمَا يُنَاسِبُ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ، فمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَتْ مُعْجِزَتُهُ مِمَّا يُنَاسِبُ أَهْلَ زَمَانِهِ، فَكَانُوا سَحَرَةً أَذْكَيَاءَ، فَبِعَثَ بَيِّنَاتٍ بَهَرَتِ الْأَبْصَارَ، وَخَضَعَتْ لَهَا الرِّقَابُ، وَلَمَّا كَانَ السَّحَرَةُ خَبِيرِينَ بِفُنُونِ السَّحْرِ وَمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، وَعَايَنُوا مَا عَايَنُوا مِنَ الْأَمْرِ الْبَاهِرِ الْهَائِلِ، الَّذِي لَا يُمَكِّنُ صُدُورَهُ إِلَّا مِمَّنْ

أَيْدُهُ اللَّهُ وَأَجْرَى الْخَارِقَ عَلَى يَدَيْهِ تَصْدِيقًا لَهُ؛ أَسْلَمُوا سِرَاعًا، وَلَمْ يَتَلَعَّمُوا.

وَهَكَذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، بُعِثَ فِي زَمَنِ الطَّبَائِعِيَّةِ الْحُكَمَاءِ (١)، فَأُرْسِلَ بِمُعْجَزَاتٍ لَا يَسْتَطِيعُونَهَا وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا، وَأَنْتَى لِحَكِيمٍ إِبْرَاءُ الْأَكْمَهِ (٢)، الَّذِي هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْأَعْمَى وَالْأَبْرَصِ وَالْمَجْدُومِ وَمَنْ بِهِ مَرَضٌ مُزْمِنٌ؟!

وَكَيْفَ يَتَوَصَّلُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَ الْمَيِّتَ مِنْ قَبْرِهِ؟!

هَذَا مِمَّا يَعْلَمُ كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ مُعْجَزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ مَنْ قَامَتْ بِهِ، وَعَلَى قُدْرَةِ مَنْ أَرْسَلَهُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ؛ اسْتَمَرَ أَكْثَرُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، فَانْتَدَبَ لَهُ (٣) مِنْ بَيْنِهِمْ طَائِفَةً صَالِحَةً، فَكَانُوا لَهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، فَأَمُوا بِمُتَابَعَتِهِ وَنُصْرَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ، وَذَلِكَ حِينَ هَمَّ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَوَسَّوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، فَأَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَالْقَى شَبَهَهُ عَلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ (٤)، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَهُ عَيْسَى، وَهُمْ فِي ذَلِكَ غَالِطُونَ، وَلِلْحَقِّ مُكَابِرُونَ، وَسَلَّمَ لَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّصَارَى مَا ادَّعَوْهُ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ

(١) الطبايعية الحكماء هم الفلاسفة.

(٢) الأكمه هو الذي وُلِدَ أَعْمَى.

(٣) أي: اختار لنفسه.

(٤) وكان هذا بعد تبرعه بذلك، فداءً وتضحيةً بنفسه عن المسيح لئلا يقبضوا عليه، جزاه الله خيرًا.

فِي ذَلِكَ مُخْطِئُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَأٌ لِلَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ﴾.

انتهى كلام المؤرخ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

الآية الثالثة

كما تحدثت آخر سورة المائدة عن الآيات والمعجزات التي آتاها الله نبيه العظيم عيسى ابن مريم، لتكون بَيِّنَةً له عند بني إسرائيل على أنه نبي مرسل من عند ربه، قال الله تعالى:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَحْبَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ
الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ
إِذْ آتَيْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ نَخَلْنَا مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ
بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ
نُخْرِجُ الْمَوْتِ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُؤُمِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ (١).



تفسير الآيات الكريّات:

واذكروا أيها الناس يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيسألهم عن جواب أَمَمِهِم لهم حينما دَعَوْهم إلى إفراد الله بالعبادة، فيُجيب الرسل حينئذٍ: (لا علم لنا، فنحن لا نعلم ما في صدور الناس، ولا ما فعلوا بعدنا، إنك أنت عليم بكل شيء مما ظهر وخفي).

ثم أخبر الله تعالى ببعض ما سيكون يوم القيامة من أنه سيُذكَرُ نبيه عيسى ابن مريم بأعظم نعم الله عليه وهي تسعة:

١. من هذه النعم أن الله أنعم على والدته بنعم كثيرة.
٢. ومن هذه النعم أنك تكلم الناس وأنت رضيع.
٣. ومن هذه النعم أنك تدعوهم إلى الله وأنت كبير بما أوحاه الله إليك مما هو مذكور في الإنجيل الذي كان بيدك.
٤. ومن هذه النعم أن الله تعالى علّمك الكتابة والخط بدون مُعَلِّم.
٥. ومن هذه النعم أن الله وهبك الحكمة، وهي قوة الفهم والإدراك.
٦. ومن هذه النعم أن الله علّمك التوراة التي أنزلها على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.
٧. ومن هذه النعم أن الله علمك الإنجيل الذي أنزله عليك هداية للناس.

٨. ومن النعم ما أيدك الله به من معجزات لتكون برهاناً على نبوتك، وهي تصوير الطين كهيئة الطير فتنفخ في تلك الهيئة، فتكون طيراً بإذن الله، ومنها أنك تشفي مَنْ وُلِدَ أعمى فيُبصر، وتشفى الأبرص، فيعود جلده سليماً بإذن الله، ومنها أنك تدعو الله أن يُحيي الموتى فيقومون من قبورهم أحياء.

وكل هذه المعجزات إنما هي بإرادة الله تعالى وإذنه، وهي معجزات باهرة لا يستطيع البشر أن يأتوا بها، فلما جاء بها عيسى دلت على أن الله أجرى هذه المعجزات على يده، لتدل على أنه مرسل من عنده
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٩. ثم سيذكره الله جلَّ وَعَلَا يوم القيامة بنعمته عليه إذ كفَّ عنه أذى بني إسرائيل حين همُّوا بقتله، مع كونه جاءهم بالمعجزات الواضحة الدالة على نبوته، فقال الذين كفروا منهم: إنَّ ما جاء به عيسى من البيئات سحر ظاهر.



الآية الرابعة

ثم تحدثت آخر سورة المائدة عن قصة المائدة التي أنزلها الله على الحواريين، استجابةً لدعاء النبي العظيم عيسى ابن مريم، وتشبيهاً لقلوب

الحواريين على الإيمان، وهي من الآيات الدالة على نبوة عيسى ابن مريم قطعاً، قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّتَا مُسْلِمُونَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنكُمُ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (١).

تفسير الآيات الكريمة:

واذكر نعمتي عليك إذ ألهمت وألقيت في قلوب جماعة من خلصائك - وهم الحواريون- أن يصدقوا بوحدانيتي ونبوتك يا عيسى، فقالوا: صدقنا يا ربنا، واشهد بأننا خاضعون لك منقادون لأمرك.

واذكر إذ قال الحواريون: يا عيسى ابن مريم، هل يستطيع ربك أن ينزل

علينا مائدة طعام من السماء؟

فكان جوابه أن أمرهم بأن يتقوا عذاب الله تعالى، إن كانوا مؤمنين حقَّ الإيمان.

فقال الحواريون لعيسى: نريد أن نأكل من المائدة، وتسكن قلوبنا لرؤيتها، ونعلم يقيناً صدقك في نبوتك، وأن نكون من الشاهدين على هذه الآية أن الله أنزلها حجة له علينا في توحيده وقدرته على ما يشاء، وحجة لك على صدقك في نبوتك.

فأجاب عيسى ابن مريم طلب الحواريين، فدعا ربه جَلَّ وَعَلَا قائلاً: ربنا أنزل علينا مائدةً طعامٍ من السماء، نتخذ يوم نزولها عيداً لنا، نعظمه نحن ومن بعدنا، وتكون المائدة علامة وحجة منك يا الله على وحدانيتك وعلى صدق نبوتي، وامنحنا يا ربنا من عطائك الجزيل، وأنت خير الرازقين.

فقال الله تعالى: إني منزلٌ عليكم مائدةً الطعام، فمن يجحد منكم بعدُ إنزالها ووحدايتي ونبوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإني أعذبه عذاباً شديداً، لا أعذبه أحداً من العالمين.

وقد نزلت المائدة على الحواريين كما وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



تقرير من إنجيل يوحنا

على أن الله أيد المسيح بالآيات الدالة على نبوته

لقد جاء تقرير أن الله أيد المسيح بالآيات الدالة على نبوته في إنجيل يوحنا (٣/ ١-٢):

كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس، رئيس لليهود.

هذا جاء إلى يسوع ليلاً وقال له: يا مُعَلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَلِّمًا، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه.

فقول رئيس اليهود للمسيح (ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه) دليل على أن الله أيد المسيح بمعجزات دالة على نبوته، لأن البشر لا يستطيعون أن يأتوا بها، ومن ذلك أنه كان يحيي الموتى، ويشفي الأبرص والأكمه (أي الذي وُلِدَ أعمى)، ويُنَبِّئُ الناس بما يأكلون وما يدَّخرون في بيوتهم من الطعام، وكل هذا بإذن الله، وليس للمسيح فيه قدرة مستقلة وعلم مستقل، لأن المسيح بشر، لا أكثر ولا أقل.

وهنا فائدة لطيفة، وهي أن رئيس اليهود قال للمسيح: (يا مُعَلِّم، نعلم أنك قد أتيت من الله مُعَلِّمًا)، فهنا تقرير أن المسيح أرسله الله إلى اليهود رسولاً

ومعلمًا، لأن الرسول يُعَلِّمُ الناس الذين أرسل إليهم ما أرسله الله به من العلم، ومن المعلوم أن المسيح قد علّم الناس الإنجيل، ودلهم على الخير.

ولم يقل رئيس اليهود للمسيح إنه جاء فاديًا، أو مُخَلِّصًا، أو إنه ابن الله، أو إنه هو الله، ولا غير ذلك من الأقوال السائدة بين جماهير المسيحيين.

والمسيح أقرّ هذا اليهودي على كلامه، ولم يقل له إنك مخطئ في كلامك، ولو كان هذا اليهودي مخطئًا في كلامه لاعترض عليه المسيح وصحح كلامه، لأن هذه وظيفته كَمُعَلِّمٍ، وهي أن يُقَرِّه على الصواب، ويصلح له الخطأ، وإلا لم يكن معلمًا على الحقيقة، ولكن المسيح أقره على كلامه ولم يتعقبه بشيء.

تم بحمد الله الفصل الخامس: «ذكر المعجزات الدالة على نبوة المسيح عيسى ابن مريم»، ويليهِ الفصل السادس: «إثبات أن المسيح عيسى ابن مريم عبدٌ لله، وبشر رسول، وليس ربًّا، ولا ابن الرب، ولا إلهًا، ولا ابن الإله».

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.

الفصل السادس:

**إثبات أن المسيح عيسى ابن مريم عبدُ الله، وبشر رسول،
وليس ربًّا، ولا ابن الرب، ولا إلهاً، ولا ابن الإله**

قال الله تعالى في عيسى ابن مريم:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

تُفيد هذه الآية الكريمة بشرية عيسى ابن مريم، وأنه عبدُ الله، ليس له من خصائص الربوبية ولا العبادة شيء، وأنه يعبد الله الذي خلقه ورزقه كما يعبد غيره من البشر، من الأنبياء وغيرهم، كما تُفيد الآية الكريمة أن الله أنعم عليه بالنبوة، وجعله عبرة وآية لبني إسرائيل يُستدلُّ به على عظيم قدرة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، بما أيده الله به من معجزات لتكون دالة على نبوته، لأن البشر لا يستطيعون أن يأتوا بمثلها.

(١) سورة الزخرف: ٥٩.

وقال الله تعالى مبيناً أن عيسى ابن مريم بشر:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ سَلَامًا وَوَجَعَلْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ زَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿١١﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

أي: وجعلنا عيسى ابن مريم وأمه علامة دالة على قدرتنا، إذ خلقناه من غير أب، وجعلنا لهما مأوى في مكان مرتفع من الأرض، مستوٍ للاستقرار عليه، فيه خصوبة وماء جارٍ ظاهرٍ للعيون، والمقصود بالربوة هي بيت المقدس، والمقصود بالماء الجاري هو النهر الذي قال الله فيه: ﴿قَدْ جَعَلْنَا لَكَ رَبِّكَ مَحْتَكًا سَرِيًّا﴾، وذلك لما ولدت مريم ابنها المسيح.

وقال الله تعالى

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ وَصِيْقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (٢).

تفسير الآية الكريمة:

أي: ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ من عند الله كمن تقدمه من

(١) سورة المؤمنون: ٥٠.

(٢) سورة المائدة: ٧٥.

الرسول، بعثه الله لتبليغ دينه، وإعلاء شريعته، وأمه صديقة، أي قد صدقت تصديقاً جازماً بكلام ربها، علماً وعملاً، وهما كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون إلهاً من يحتاج إلى الطعام ليعيش.

وقال الله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا نَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

أي: قل أيها الرسول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: تعالوا إلى كلمة عدلٍ وحقٍّ نلتزم بها جميعاً، وهي أن نخُصَّ الله وحده بالعبادة، ولا نتخذ أيَّ شريكٍ معه، من وثنٍ أو صنم أو صليب أو صورة أو قبر أو طاغوت أو نبي أو بشر أو غير ذلك، ولا يعبد بعضنا بعضاً، لأن الله هو الخالق الرازق المدبر لأمر هذا الكون، فهو المستحق للعبادة دون ما سواه، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم: اشهدوا علينا بأننا مسلمون، أي مستسلمون لأوامر الله، منقادون لربنا بالعبودية والإخلاص.

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

إزالة الإشكال في طبيعة المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعل منبع الشك عند النصارى في الإيمان بشرية المسيح عيسى ابن مريم ووصفهم له بأنه ابن الله هو كونه وُلِدَ من أمِّ بلا أب، وقد ردَّ القرآن على هذه الشبهة بدليلين عقليين:

الأول: أن الناس كلَّهم أقرؤا ببشرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع كون وجوده في هذه الدنيا أكثرَ إعجازاً من وجود المسيح عيسى ابن مريم وأبعد عن العادة البشرية، فقد خلقه الله من غير أب ولا أم، بخلاف المسيح الذي خلقه الله من أم بلا أب، وبناء على هذا فمن آمن بأن أبانا آدم بشرٌ؛ لزمه ضرورةً أن يؤمن بأن عيسى بشرٌ أيضاً، وإلا ناقض اعتقاده بأن آدم بشر، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ** ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (١)، أي: فلا تكونن من الشاكين في ذلك.

ليس هذا فحسب، بل إن أمنا حواء خلقها الله من أبينا آدم، خلقها الله من ضلعه، بلا أم، وكل الناس تؤمن بأنها بشر، ولم يقل أحد إنها بنت ربِّ لكونها خُلِقَتْ من غير أم ولا أب.

الثاني: أن الله على كل شيء قدير، لا تحكِّمه عادة، ولا يُعجزه أمر، فالله قادر على أن يخلق بشراً من ذكر وأنثى، كما هو حال سائر البشر، وقد يخلق من غير ذكر

(١) سورة آل عمران: ٥٩، ٦٠.

وأُنثى، كحال أينا آدم، وقد يخلق من ذكر بلا أنثى، كحال أمنا حواء التي خلقها الله من ضلع آدم، وقد يخلق من أنثى بلا ذكر، كحال المسيح ابن مريم، وقد يخلق من الرجل الكبير ومن الأم العاقر، كحال الأنبياء إبراهيم وذكريا، وقد لا يخلق من الذكر والأنثى شيئاً، لا ذكراً ولا أنثى، كحال من به عقم، وقد يخلق من الزوجين ذكوراً بلا إناث، وقد يخلق منهما إنثاءً بلا ذكور، وقد يخلق منهما إنثاءً وذكوراً، فالله قادر على كل شيء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له «كن» فيكون ذلك الشيء، قال الله في القرآن ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ (١)، ومعنى الآية الكريمة: **لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إنثاءً لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء الذكور لا إناث معهم، ويعطي **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل من يشاء عقيماً لا يولد له، إنه عليم بما يخلق، قدير على خلق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

انتهى بحمد الله الفصل السادس «إثبات أن عيسى ابن مريم عبد لله، وبشر رسول»، ويليه الفصل السابع بعنوان: «سرد الآيات من القرآن الكريم التي نفى الله فيها عن نفسه اتخاذ الزوجة والولد والبنات».

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.

الفصل السابع:

سرد الآيات من القرآن الكريم

التي نفي فيها الله عن نفسه اتخاذ الولد والزوجة والبنات

مقدمة

بعث الله نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد بعثة عيسى ابن مريم بنحو ستمئة سنة، في حين فترة من الرسل، أي: في حين انقطاع واسع بين مبعث رسولين متتاليين، بعثه الله إلى الناس كافة، عربهم وعجمهم، إنهم وبناتهم، برسالة الإسلام، خاتمة الرسالات، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات عبادة البشر والأصنام والحجارة، إلى نور الهداية المتمثلة في عبادة رب البشر الذي خلقهم ورزقهم ودبرهم، واتباع ما جاء في القرآن الكريم من إرشاد إلى أحسن العبادات والأخلاق، ليسعدوا بهذا في دنياهم وآخرتهم.

وقد كان منتشرًا في تلك الفترة -المُعَبَّر عنها بفترة الجاهلية- ثلاث

مقالات:

الأولى: مقالة أن الملائكة بنات الله، وقد كانت العرب تقولها في ذلك

الحين.

الثانية: مقالة أن الله اتخذ عَزِيْرًا ولدًا، وقد كانت اليهود تقول هذه المقالة.

الثالثة: مقالة أن الله اتخذ المسيح عيسى ابن مريم ولدًا، وقد كانت النصارى (المسيحيون) تقول هذه المقالة، وهم أشهر الطوائف التي قالت: إن لله ولدًا، ولهذا ذكروا في القرآن كثيرًا للرد عليهم وبيان تناقضهم، وقلة علمهم، وكثرة جهلهم.

وللفائدة فقد تنوعت أقوال النصارى في المسيح، وليس ذلك بغريب، لأنَّ الباطل كثير الشعب والاختلاف والتناقض، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١)، وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فدلَّ على أن الحق يتحد ويتفق، وأما الباطل فإنه يختلف ويضطرب.

فصل

ودعوى أن الله اتخذ ولدًا باطلة من أربعة وجوه عقلية:

الأول: أن الولد لابد أن يكون من جنس والده، ومن المعلوم قطعًا أن الله ليس شيئًا من المخلوقات، وليس شيء منها مشابهاً له بوجه من الوجوه، كما قال الله في القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

الثاني: أن الله غني عن اتخاذ الولد، لأن اتخاذ الأولاد إنما يكون للتكثُر

(١) سورة النساء: ٨٢.

والاعتزاز، والله غني بذاته عن العالمين. وخلقهم هم المحتاجون للزوجة والولد، ليعينوهم على قضاء حوائجهم، أما الله فهو الغني، لا يحتاج لشيء، بل هو الرزاق والوهاب والمُنعم على المخلوقين، كما وصف الله نفسه بذلك في قوله تعالى في سورة الطور: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

ثالثاً: أن الله لو كان متخذاً ولدًا لاتخذ أولادًا كُثُرًا، وليس ولدًا واحدًا، لأن عادة الأغنياء اتخاذ أكثر من ولد، ولا يكتفون بولد واحد.

رابعاً: أن الله لم يتخذ زوجة، فكيف يكون له الولد، وقد عُلِمَ بالعقول أن الولد لا يكون إلا من زوجة.

فبطلت بهذا دعوى أن الله اتخذ ولدًا، أيًا كان ذلك الولد، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فصل

ولما كان القرآن كتابَ هداية وإرشاد؛ بين الله فيه الموقفَ الصحيح من هذه المقالات الثلاث، فنفى عن نفسه اتخاذ الولد في نحوٍ من عشرين موضعًا من القرآن، ونفى عن نفسه اتخاذ الصاحبة (الزوجة) في موضعين من القرآن الكريم.

كما بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذه المقالة (اتخاذ الولد) هي في الحقيقة مَسْبُةٌ لله تعالى، فقد قال النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى:

كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكُ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكُ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ
إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ.

وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: (لِي وَوَلَدٌ)، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَوَلَدًا. (١)

قوله (سبحاني) أي: أنزه نفسي عن اتخاذ الصاحبة - وهي الزوجة -
والولد، لأن وصف الله بالاحتياج إلى الغير، كالصاحبة والولد، يعتبر من
التنقص لله، فإن الله لم يصف نفسه بذلك، وهو أعلم بنفسه من غيره، ثم إن هذا
الوصف لا يليق إلا بالمخلوق البشري، أما الخالق - وهو الله - فهو غني عن
العالمين.

(١) رواه البخاري (٤٤٨٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سرد الآيات التي نفى الله فيها عن نفسه اتخاذ الولد

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

١. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

أَحَدٌ ۝﴾

تفسير الآيات الكريمات:

﴿قُلْ﴾، المخاطب هو النبي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يقول الله له: قل أيها

الرسول لكل الناس.

﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: أي هو الله المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء

والصفات، لا يشاركه أحد فيها.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: أي الذي تصمد له جميع الخلائق وتطلب منه حاجاتها.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، لأن هذه صفات

المخلوقين، أما الله فلا يشبهه شيء، وليس كمثلته شيء.

وقوله ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي وَلَمْ يَتَوَلَّدْ عَنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: أي ليس له مُماثل ولا شبيه، لا في أسمائه

ولا في صفاته ولا في أفعاله، سبحانه وتعالى وتقدس، وَلَيْسَ لَهُ عِدْلٌ وَلَا مُكَافِئٌ

وَلَا مُسَاوٍ، فَقَطَعَ اللهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ النَّظِيرَ الْقَرِيبَ وَالْأَعْلَى وَالْمُسَاوِيَّ، فَانْتَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، إِذْ لَا يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا مُتَوَلِّدًا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَعَادِلَيْنِ أَوْ مُتَقَارِبَيْنِ، وَتَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٢. ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

أن الله واحد في ذاته، وواحد في أحقيته بالعبادة، وكل ما في السموات والأرض فإنهم مملوكون له مفتقرون إليه، فمن المحال أن يكون له منهم شريك أو ولد.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٣. ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْىَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢).

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) سورة الأنعام: ١٠١.

تفسير الآية الكريمة:

الله سبحانه تعالى هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سابق، فكيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد، الذي تصمد وتلجأ إليه الخلائق، وهو الذي لا صاحبة له، أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة إليه في جميع أحوالها.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٤. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۗ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِيرٌ ۗ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

قالت اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله لنفسه ولداً، فنزه الله نفسه عن هذا القول الباطل، فقال: بل إنَّ كلَّ مَنْ في السموات والأرض ملكه وعبده، وهم جميعاً خاضعون له، مُسَخَّرُونَ تحت تدبيره.

والله تعالى هو خالق السموات والأرض على غير مثال سبق، وإذا قدر أمراً وأراد حصوله فإنما يقول له «كن» فيكون.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٥. ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وَكُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

ما كان لله تعالى ولا يليق به أن يتخذ من عباده وخلقه ولداً، تنزه الله وتقدس عن ذلك، إذا قضى أمراً من الأمور وأراده، صغيراً كان أو كبيراً؛ فإنه لن يمتنع عليه، وإنما يقول له: «كن»، فيكون ذلك الشيء الذي أرادته الله وشاءه.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٦. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۗ﴾ (٢).

تفسير الآية الكريمة:

قالت النصارى (المسيحيون): اتخذ الرحمن (وهو الله) ولداً، فردَّ الله

(١) سورة مريم: ٣٥.

(٢) سورة مريم: ٨٨ - ٩٥.

عليهم بقوله: لقد قلتُم مقالة عظيمة مُنكرة، تكاد السموات تتفطرن من فظاعة هذه المقالة، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطاً شديداً غضباً لله أن نَسبْتُم له الولدَ، لأن هذا يتضمن وصفه بصفة لم يصف نفسه بها، وتتضمن أن الله محتاج لخلقه، فاتخذ الولد، وأنه ليس بغنيّ الغني المطلق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثم قال: وما ينبغي للرحمن ولا يليق بعظمته أن يتخذ ولداً، لأن اتخاذ الولد يدل على النقص والحاجة، والحق أن الله هو الغني الحميد المبرأ عن كل النقائص.

فَبَيَّنَ أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَكَيْفَ يَصِحُّ مَعَ هَذَا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ اتَّخَذَ وَلِداً؟!!

ثم قال: كل من في السموات من الملائكة ومن في الأرض من الإنس والجن سيأتي ربّه يوم القيامة عبداً ذليلاً خاضعاً مقرّاً له بالعبودية.

لقد أحصى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَهُ كُلَّهُمْ، وَعَلِمَ عَدَدَهُمْ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

وسوف يأتي كل فرد من الخلق ربّه يوم القيامة وحده، لا مال له ولا ولد معه.

فَبَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ الْوَلَدُ، لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَاقِرٌ إِلَيْهِ، خَاضِعٌ ذَلِيلٌ لَدَيْهِ، وَجَمِيعُ سُكَّانِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَبِيدُهُ، وَهُوَ رَبُّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٧. ﴿مَا آتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

لم يجعل الله لنفسه ولداً، ولا يرضى بأن يكون معه معبود آخر، لأنه لو كان ثمة أكثر من رب لهذا الكون لانفرد كل رب بمخلوقاته، ولكان بينهم مغالبة كشأن ملوك الدنيا، فيختل نظام الكون.

ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وقدسها عن وصف المشركين له بأن له شريكاً أو ولداً، وهو وحده يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٨. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (٢).

(١) سورة المؤمنون: ٩١ - ٩٢.

(٢) سورة الزخرف: ٨١ - ٨٣.

تفسير الآية الكريمة:

قل أيها الرسول لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون فأنا أول العابدين لهذا الولد، ولكن هذا ما كان ولن يكون، فإن الله تقدس عن اتخاذ صاحبة الولد، بل هذا من الكذب والافتراء على الله، فاترك أيها الرسول هؤلاء المفترين على الله يخوضون في باطلهم، ويلعبون في دنياهم، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه بالعذاب في الآخرة.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٩. ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْعَزِيزُ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنِّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلٰطٰنٍ بِهٰذَا ۗ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّا لَنَذِيرٌ لَّكُمْ يَوْمَ نَقُصُّ عَلَيْكُم مَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعْنَا فِي الدُّنْيَا ثَمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنزِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

ذكر الله في هذه الآية المقولة الباطلة (اتخذ الله ولداً)، كقول المشركين إن الملائكة بنات الله، أو المسيح ابن الله، ثم نزه نفسه عن ذلك فقال: ﴿سُبْحٰنَهُ﴾،

أي تقدّس الله عن ذلك كله وتنزّه، فهو الغني عن كل ما سواه، له ما في السموات والأرض، فكيف يكون له ولد من مخلوقاته وكل شيء مملوك له؟!!

هل لديكم دليل على ما تفترونه من الكذب؟!!

أم أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون حقيقته وصحته؟!!

بل قل لهم يا محمد: إن الذين يفترون على الله الكذب بوصفه أنه اتخذ الولد وإضافة الشريك إليه أنهم لن ينالوا مطلوبهم في الدنيا ولا في الآخرة، بل سيتمتعون في الدنيا بكفرهم وكذبهم متاعاً قصيراً، ثم إذا انقضى أجلهم فإلينا مصيرهم، ثم نذيقهم عذاب جهنم بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم رسل الله، وجحدهم آياته.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

١٠. ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا

وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا ﴿١١﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

قل أيها الرسول: الحمد لله الذي له الكمال والثناء، الذي تنزّه عن الولد

والشريك في عبادته، ولا يكون له سبحانه ناصرٌ من خلقه، فهو الغني القوي، وهم الفقراء المحتاجون إليه، وعَظْمُهُ تعظيماً تاماً بالثناء عليه وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

١١. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

في الآية الأولى يُثني الله على نفسه فيقول: عَظُمَتْ بركات الله، وكُثرت خيراته، وكُمُلت أوصافه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الذي نَزَّلَ القرآن الفارق بين الحق والباطل على عبده محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ليكون رسولاً للإنس والجن.

وهو الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وهو الذي خلق كل شيء، فسوَاه على ما يناسبه من الخلق وَفَق ما تقتضيه حكمته دون نقص أو خلل.



وصف الله تعالى القرآن الكريم فقال:

١٢. ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۗ﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

يصف الله كتابه وهو القرآن الكريم بأنه يُنذر من قالوا: (اتخذ الله ولداً)، ووصفهم بأنهم ليس عندهم ولا عند أسلافهم الذين قلّدوهم في مقولتهم هذه بأنهم ليس عندهم شيء من العلم على ما يدّعون، عظمت هذه المقالة الشنيعة التي تخرج من أفواههم، ما يقولون إلا قولا كاذبا.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

١٣. ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۗ﴾ (٢).

تفسير الآية الكريمة:

لو أراد الله أن يتخذ ولداً لا يختار من مخلوقاته ما يشاء، تنزه الله وتقدس

(١) سورة الكهف: ٣ - ٤.

(٢) سورة الزمر: ٤.

عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، القهار الذي قهر خلقه بقدرته، فكل شيء له متذل خاضع.

سرد الآيات التي نفى فيها الله عن نفسه اتخاذ الزوجة والولد

نفى الله عن نفسه اتخاذ الصاحبة (الزوجة) في موضعين من القرآن ليرهن بذلك برهاناً عقلياً على بطلان اتخاذ الولد، لأن الولد لا يكون إلا بعد اتخاذ الصاحبة.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

١٤. ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

تعالىُّ جدُّ ربنا، والجدُّ هو العظمة والجلال، فالمعنى: تعالت عظمته وجلاله عن أن يتخذ زوجة أو ولداً، لأنَّ اتخاذ الزوجة والولد لا يكون إلا عن حاجة لهما، بينما الله سبحانه وتعالى هو الغني عن كل شيء، وخلقهم المحتاجون للزوجة والولد، ليعينوهم على قضاء حوائجهم، أما الله فهو الغني، لا يحتاج لشيء، بل هو الرزاق والوهاب والمُنعم على المخلوقين، كما وصف الله نفسه بذلك في قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٢).

(١) سورة الجن: ٣.

(٢) سورة الذاريات: ٥٧، ٥٨.

فإذا كان الله لم يتخذ زوجة؛ بطل بذلك قول من قال بأنه اتخذ ولداً، سواء اليهود الذين قالوا إن عزيراً ابن الله، أو النصارى الذين قالوا إن المسيح ابن الله، أو مشركو العرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، لأن الولد أيّاً كان جنسه لا يكون إلا من زوجة (صاحبة)، فلما بطل هذا بطل هذا.

قال الله تعالى في القرآن الكريم:

١٥. ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُۥٓ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُۥ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَصِفُوْنَ ﴿١٥﴾ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنۢىۤ يَكُوْنُ لَهُۥٓ وَلَدٌۭ وَلَمْ تَكُنۡ لَهُۥٓ صٰحِبَةًۭ ۗ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْۡءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْۡءٍ عَلِيْمٌ ﴿١٦﴾ ذٰلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ لَاۤ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْۡءٍ فَاَعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْۡءٍ وَكِيْلٌ ﴿١٧﴾﴾ (١).

تفسير الآية: جعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة، اعتقاداً منهم أنهم ينفعون أو يضرّون، وقد خلق الله تعالى السموات والأرض وما يعبدون من الجن وغيرها من العدم، الذين ليس فيهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر، المنعم بسائر أصناف النعم، المستقل بالخلق وحده، فهذا خطأ شنيع، إذ من كانت تلك صفاته فيجب أن يُفرد بالعبادة وحده لا شريك له، يجب أن ينزه الله عنه.



والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ لِلَّهِ وَلَدٌ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الْوَالِدِ بِمُلْكِهِ لِلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، الَّذِي تَصَمِّدُ وَتَلْجَأُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَكُلِّهَا فَقِيرَةٌ إِلَيْهِ، مُضْطَرَّةٌ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهَا إِلَيْهِ؟!!

١٦. وَثَبَّتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشْتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَعِمَ أَنِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شْتَمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ (لِي وَلَدٌ)، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا». (١)

شرح الحديث:

قوله (سبحاني) أي أنزله نفسي عن اتخاذ الصاحبة - وهي الزوجة - والولد، لأن الاحتياج إلى الصاحبة والولد من صفات النقص في حق الله، وهي لا تليق إلا بالمخلوق البشري، أما الخالق - وهو الله - فهو غني عن العالمين.

(١) رواه البخاري (٤٤٨٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

١٧. وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا أَحَدٌ أَضْبِرُّ عَلَيَّ أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(١).

خلاصة

الواجب على من بلغته هذه الآيات وهذا البيان من الله أن ينتهي عن مقولة إن لله ولداً، وإلا عرّض نفسه لتهديد الله له بالعقوبة البليغة، والعذاب الأليم يوم القيامة، كما جاء في الآيات المتقدمة، والله الهادي إلى الصراط المستقيم.



(١) رواه البخاري (٧٣٧٨) ومسلم (٢٨٠٤) واللفظ له، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ذِكْرُ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ

أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ادَّعَوْا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا، وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَدًا، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنْدٌ فِيمَا زَعَمُوهُ إِلَّا مُجَرَّدُ الْقَوْلِ وَمُشَابَهَةٌ مِنْ سَبَقَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ الضَّالَّةِ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، وَهَكَذَا طَوَائِفُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، زَعَمُوا لِجَهْلِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ صَاهِرَ سَرَوَاتِ الْجِنِّ (١) فَتَوَلَّدَ مِنْهُمَا الْمَلَائِكَةُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ، وَتَنَزَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

١٨. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُنَّ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (٢).

والمعنى: وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثًا، فوجه لهم القرآن سؤالاً: أحضروا خلقهم حتى يحكموا بأنهم إناث؟ ستكتب شهادتهم، ويسألون عنها في الآخرة.

(١) سروات الجن أي أشرفهم. انظر «النهاية».

(٢) سورة الزخرف: ١٩.

١٩. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ (١).

أي: جعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا، حيث زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم سَرَوَاتُ الْجِنِّ، والحال أن الجن قد علمت أنهم محضرون بين يدي الله ليُجازيهم، فلو كان بينهم وبين الله نسبٌ لم يكونوا كذلك (٢).

٢٠. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ (٣).

ففي هذه الآية وصف الله تعالى الملائكة الذين كانت العرب تعبدهم وتزعم أنهم بنات الله بأنهم عباد الله، وأنهم مكرمون، وأنكر عليهم وصفهم لهم بأنهم أولاد الله.

(١) سورة الصافات: ١٥٨ - ١٦٠.

(٢) باختصار وتصرف يسير من تفسير ابن سعدي للآية الكريمة.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٦ - ٢٩.



قال الله تعالى في القرآن الكريم:

٢١. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ
بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

قال المشركون: اتخذ الرحمن ولداً، فزعموا أن الملائكة بنات الله -تنزه الله عن ذلك-، وكلامهم باطل لأن الملائكة عباد الله، مُقَرَّبُونَ مُخَصَّصُونَ بالفضائل، وهم في حسن طاعتهم لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملاً حتى يأذن لهم به، فكيف يصح أن يقال عنهم إنهم قالوا إن الله ولداً وهم لم يؤمروا بذلك؟!!

التحذير من العُلُوِّ في تعظيم المسيح عيسى ابن مريم فوق منزلته البشرية، ورفعته إلى منزلة الألوهية والربوبية

قال الله تعالى في القرآن الكريم واعظاً أهل الكتاب من النصارى (المسيحيين) بعدم الإفراط في تعظيم عيسى ابن مريم فوق الحد المشروع:

قال الله سبحانه وتعالى وَتَقَدَّسَ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَكْفِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴿١﴾.

تفسير الآيات الكريّمات:

يُنْهَى اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ وَمَنْ شَابَهُمْ عَنِ الْغُلُوِّ وَالْإِطْرَاءِ فِي الدِّينِ، وَهُوَ مُجَاوِزُهُ الْحَدَّ، فَالْنَّصَارَى غَلَوْا وَأَطْرَوْا الْمَسِيحَ حَتَّى جَاوَزُوا الْحَدَّ، فَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْتَقِدُوا أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَابْنُ أُمَّتِهِ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ (١)، الَّتِي أَحْصَنْتْ فَرْجَهَا، فَبَعَثَ اللهُ الْمَلَكَ جِبْرِيلَ إِلَيْهَا، فَفَنَخَّ فِيهَا عَنْ أَمْرِ اللهِ نَفْحَةً، ثُمَّ قَالَ اللهُ كَلِمَةً ﴿كُنْ﴾، فَكَانَ عَيْسَى فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَهَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي بِسَبَبِهَا خُلِقَ الْمَسِيحُ وَوُجِدَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عَيْسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبَتُونَ﴾ (٣) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤).

وهذه الآيات جاءت بعد أن أبان الله عزَّ وجلَّ حقيقة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنه رسول من عند الله، فوعظ الله سبحانه النصارى فنهاهم عن غُلُوِّهم فيه، والغلو فيه، وهو الزيادة في التعظيم فوق الحد المشروع، بأن يوصف بأوصاف الرب، أو يُصرف له شيء من العبادات التي لا يجوز صرفها إلا للرب، فأمرهم الله في هذه

(١) البتول أي المنقطعة عن الرجال. انظر «النهاية».

(٢) سورة آل عمران: ٥٩.

(٣) سورة البقرة: ١١٦ - ١١٧.

الآيات بالانتهاء عن أقوالهم الباطلة، ودعاهم إلى الإيمان بأن عيسى عبد الله ورسوله، فقال: يا أهل الكتاب (أي الإنجيل) لا تتجاوزوا الاعتقاد الصحيح في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق، فلا تجعلوا له صاحبةً ولا ولدًا، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وليس ولد الله، بل رسول أرسله الله بالحق، وخلقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله: «كن»، فكان المسيح في بطن أمه مريم، وروحه خلقها الله كما خلق غيرها من الأرواح، فهي من الله، فصَدَّقوا بأن الله واحد وأسلموا له، وصدَّقوا رسله فيما جاءوكم به من عند الله واعمَلوا به، ولا تجعلوا عيسى وأمّه مع الله شريكين، فتعتقدوا ألوهيتهما وتعبدوهما، انتهوا عن هذه المقالة خيراً لكم، إنما الله إله واحد سبحانه، وكل ما في السموات والأرض مُلْكُهُ، فكيف يكون له منهم صاحبة أو ولد؟!!

وكفى بالله وكيلاً على تدبير خلقه وتصريف معاشهم، فتوكلوا عليه وحده فهو كافيكم.

وقال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَقَدْ عَلِمْتُهُ نَعَلِمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ
تَعَدَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ
صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ (١).

تفسير الآيات الكريمة:

ذكر الله تعالى في هذه الآيات بعضاً مما سيكون يوم القيامة، ومنها أنه
سيَسْأَلُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَى سَبِيلِ الْإِكْرَامِ لَهُ وَالتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ لِعَابِدِيهِ، مِمَّنْ
كَذَبَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى وَزَعَمَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، أَوْ أَنَّهُ اللَّهُ، أَوْ أَنَّهُ شَرِيكُهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يَقُولُونَ، فَيَسْأَلُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَا يَسْأَلُهُ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَتَوْبِيخٍ مَنْ كَذَبَ
عَلَيْهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْإِجَابَةِ: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فعندها سيَجِيبُ عِيسَى مَنْزَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ قَائِلًا: ﴿سُبْحَانَكَ﴾، أَي
تَنَزَّهْتَ يَا رَبَّنَا عَنْ هَذَا الْوَصْفِ وَتَعَالَيْتَ، ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾، أَي:
لَيْسَ مِنْ حَقِّي وَلَا حَقُّ غَيْرِي أَنْ أَقُولَ لِلنَّاسِ: اتَّخِذُوا غَيْرَ اللَّهِ إِلَهًا.

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾
﴿١١٦﴾، وَهَذَا تَأْدِبٌ عَظِيمٌ فِي الْخِطَابِ وَالْجَوَابِ، مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ لِلنَّاسِ
غَيْرَ الْحَقِّ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُ هَذَا فَقَدْ عَلِمْتَهُ يَا اللَّهُ، لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ، تَعَلَّمَ

ما تُضمّره نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسك، إنك أنت عالمٌ بكل شيء مما ظهر أو خفي.

ثم سيقول عيسى عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾، حين أرسلتني إليهم، وأنزلت علي الكتاب الذي كان يُتلى عليهم، وأمرتني بتبليغه.

ثم فسّر ما قال لهم بقوله: ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، أي: أفردوا الله بالعبادة.

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، أي: وكنت أنا شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم لما كنت بينهم، فلما توفيتني إليك، أي قبضتني واسترجعتني إليك برفعي إلى السماء حين أرادوا قتلي - كنت أنت المطلع على سرائرهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا تخفي عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

﴿إِن تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، أي: إن تعذبهم يا الله فإنهم عبادك، وأنت أعلم بأحوالهم، تفعل بهم ما تشاء بعدلك، أو تغفر لهم برحمتك، فإنك أنت العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في تدبيره وأمره. وهذه الآية فيها ثناء على الله تعالى بصفة الحكمة والعدل وكمال العلم.

عندئذ قال الله بعدها:

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١١٦)، أي: عند ذلك سيقول الله لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هذا يوم الجزاء الذي ينفع الموحدين توحيدهم ربهم، وانقيادهم لشرعه، وصدقهم في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، لهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكين فيها أبداً، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَقَبِلَ حَسَنَاتِهِمْ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ. ذَلِكَ الْجَزَاءُ وَالرِّضَا مِنْهُمْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

ثم ختم الله الآيات بتأكيد أن الله هو وحده الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، وهو سبحانه على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، فقال ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١١٧).

وقال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١١٧) (١).

تفسير الآية الكريمة:

لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح ابن مريم، فقل أيها الرسول لهؤلاء: هذا الدليل العقلي الدال على بطلان مقولتهم: لو كان المسيح إلهًا كما يدعون لقدّر أن يدفع قضاء الله بإهلاكه وإهلاك أمّه ومن في الأرض جميعًا، وقد ماتت أم المسيح فلم يدفع عنها الموت، وهو كذلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، فقد همّ اليهود بقتله فلم يستطع أن يدفع عن نفسه إلا بقضاء قضاء الله ليس في قدرته وليس في قدرة البشر كلهم، وهو رفعه إلى السماء، فالمسيح وأمّه عبّادان من عباد الله لا يقدران على دفع الهلاك عنهما، فهذا دليل على أنه بشر كسائر بني آدم، وجميع الموجودات في السموات والأرض ملك لله، يخلقه ويصرفه كما يشاء، وهو على كل شيء قدير.

وقال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ بِأَعْبَادِ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ۗ﴾ (٧٦) ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۗ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۗ﴾ (٧٣) ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۗ﴾ (٧٤) ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۗ﴾ (٧٥) ﴿(١)﴾

تفسير الآيات الكريمة:

يبين الله تعالى بأن الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قد كفروا بمقاتلهم هذه، والكفر ضد الإيمان، وهو رد الحق الذي جاء من عند الله.

وأخبر تعالى أن المسيح قال لبني إسرائيل: (اعبدوا الله وحده لا شريك له، فأنا وأنتم في وجوب القيام بالعبودية لله سواء)، إنه من يعبد مع الله غيره فقد حرم الله عليه الجنة، وجعل النار مستقره، وليس له ناصر يُنقذه منها.

ثم قال الله: لقد كفر من قال: إن الله مجموعٌ ثلاثة أشياء: الأب، والابن، وروح القدس.

أما علم هؤلاء النصارى أنه ليس للناس سوى معبود واحد حق، وهو الله. إن لم ينته أصحاب هذه المقالة عن افتراءهم وكذبهم ليُصيبنهم عذاب مؤلم بسبب كفرهم بالله.

أفلا يرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، ويتوبون عما قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة، والله تعالى متجاوز عن ذنوب التائبين، رحيمٌ بهم.

ثم قرر الله تقريراً نهائياً فقال: ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ كمن تقدمه من الرسل، وأمه صديقة، أي قد صدقت تصديقاً جازماً بما أمرها الله بالتصديق له، وعملت بما يقتضيه ذلك التصديق من الأعمال الصالحة.

وأما قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ كناية عن خروجهِ منهُمَا، كما يخرج من

غَيْرِهِمَا مِنَ الْبَشَرِ، أَيُّ: وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، كَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا؟! تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ وَجَهْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فهما بشر كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون إلهًا من يحتاج إلى الطعام ليعيش.

فتأمل أيها الرسول حال هؤلاء الكفار، فقد وضحنا العلامات الدالة على وحدانيتنا وبطلان ما يدعونه في أنبياء الله، ثم هم مع ذلك يضلّون عن الحق الذي نهديهم إليه، فانظر كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

ففي هذه الآيات حَكَمَ اللهُ تَعَالَى بِكُفْرِ النَّصَارَى شَرْعًا وَقَدْرًا، وَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا صَدَرَ مِنْهُمْ، مَعَ أَنَّ رَسُولَهُمْ، وَهُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، قَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ، بَشَرٌ، مَخْلُوقٌ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، دَاعٍ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ بِالنَّارِ، وَعَدَمِ الْفَوْزِ بِدَارِ الْقَرَارِ، وَالْخِزْيِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْهَوَانِ وَالْعَارِ، تَوَعَّدَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى اخْتِلَافِ طَوَائِفِهِمْ، سِوَا الَّذِينَ قَالُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، أَوْ الَّذِينَ قَالُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لَجَمِيعِ هَؤُلَاءِ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٦﴾.



وقال الله تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ (١).

تفسير الآية الكريمة:

تفيد هذه الآية أن اليهود والنصارى اتخذوا العلماء والعُبادَ أرباباً (جمع كلمة «رب»)، يُشْرِعُونَ لَهُمُ الْأَحْكَامَ، فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله، واتخذ النصارى المسيح عيسى ابن مريم إلهاً فعبدوه، فعلوا هذا مع أن الله أمرهم بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق، لا إله إلا هو، تنزهه وتقدّس عما يفترية أهل الشرك والضلال.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

إلى يوم الدين.

همسة في أذن عاقل

• إن قول النصارى إن الله اتخذ صاحبة - وهي مريم - قولاً مخالف للعقل، لأنه يلزم منه أن الرب محتاج إليها، مع أنه هو الذي خلقها بنفسه وخلق كل العالم!

هذا القول لا يقتنع به الإنسان ذو الثقافة العادية إلا إذا كان معانداً لعقله وقلبه وإحساسه، لأن الله هو الذي خلق البشر ورزقهم، فكيف يكون محتاجاً إليهم؟!

• لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاتخذ أولاداً كثيرين - كما هي عادة الأغنياء - وليس ولداً واحداً فالله ليس له ابن ولا زوجة ولا أب ولا عم ولا خال، والذي يتصف بهذه الصفات هم المخلوقون مثلي ومثلك، وليس الخالق، وهو الله **عَزَّوَجَلَّ**.

• كذلك فلو أن المسيح هو ابن الله حقاً، كما هو مقرر في المسيحية المعاصرة، فلماذا لم يدافع عنه لَمَّا تعرض للصَّلب والقتل والبصق في وجهه، ثم الموت ثلاثة أيام - بزعمهم حاشاه من ذلك؟!

إن الشخص العادي إذا تعرض ابنه لمثل هذه الإهانة الفظيعة فإنه ستقوم

قائمته ويطش بمن أهان ابنه، فكيف لم يحصل هذا من الله (لو كانت قصة الصلب حقيقة وليست خرافة)، وهو القوي، الذي خلق الكون كله، ويدبر الكون بيده؟!!

هذا لا يصح في العقول، حتى الشخص المسيحي لو فكر في قرارة نفسه باستقلالية تفكيرٍ وتَرَكَ تَقْلِيدَ المجتمع جانباً، فإنه لن يقبل هذا في داخله، ولكن بسبب تقليد المجتمع أو الخوف من التعذيب في غرف الكنيسة فإنه يعتقد هذا.

ولو أنه قرأ القرآن (الكتاب المقدس في دين الإسلام) لتبينت له الحقيقة، فإن الله رحيم بعباده، لم يتركهم هملاً بدون دلالة وإرشاد، وإنما لما تحرّف دين المسيح بعد رفعه إلى السماء أرسل نبيه محمداً، وأنزل عليه القرآن ليكون كتاب هداية وإرشاد للناس كلهم، وبيّن فيه أن المسيح لم يُصلب ولم يُقتل ولم يُهن، بل رفعه الله إليه قبل أن يمسه الأذى في معجزة سماوية ربانية لم تحصل لنبي قبله، وحمى نبيه العظيم من الإهانة والقتل، وهذا هو الموافق للعقل، واللائق بقدر المسيح ومكانته، بأن يرسله الله إلى بني إسرائيل ثم يحميه من الإهانة والأذى بحوله وقوته، لأنه قوي غالب، فالحمد لله على نعمة القرآن، ونعمة وضوح الحق والوصول إليه.

خاتمة لطيفة

قال الله تعالى في الكتاب المقدس «القرآن الكريم»:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ (١)

تفسير الآيات الكريّمات:

﴿قُلْ﴾، المخاطب هو النبي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يقول الله له: قل أيها الرسول لكل الناس.

﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾، أي أن الله واحد في ذاته.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾، أي الذي تصمد له جميع الخلائق وتطلب منه حاجاتها.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾، أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، لأن هذه صفات المخلوقين، أما الله فلا يشبهه شيء، وليس كمثل شيء، وهو أعلم بنفسه من غيره.



﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، أي ليس له مُماثل ولا شبيهه، لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدّس.

انتهى بحمد الله الفصل السابع «سرد الآيات من القرآن الكريم التي نضى فيها الله عن نفسه اتخاذ الولد والزوجة والبنات»، ويليه الفصل الثامن بعنوان: «قصة رفع المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء، وحماية الله له من القتل والصلب... إلخ.

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.

الفصل الثامن:

قصة رفع المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء، وحماية الله له من القتل والصلب

قال الله تعالى في سورة النساء في ذم اليهود الذين كفروا بعيسى ابن مريم
وآذوه وآذوا غيره من الأنبياء:

﴿وَكَفَرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ تِلْكَ رِجْسَةٌ اللَّهِ
الْبُيُوتِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ (١).

تفسير الآيات الكريمة:

قال الله عن اليهود: إنا لعنناهم بسبب كفرهم وافترائهم على مريم بما نسبوه
إليها من الزنا، وهي بريئة منه، وبسبب قولهم عن عيسى على سبيل التهكم
والاستهزاء: (قتلنا هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب وهو منصب النبوة)، والحق
أنهم ما قتلوا عيسى وما صلبوه، بل صلبوا رجلاً شبيهاً به ظناً منهم أنه عيسى.

(١) سورة النساء: ١٥٦ - ١٥٩.

ومن ادَّعى قَتْلَهُ من اليهود ووافق على ذلك من النصارى فإنهم لا عِلْمَ لديهم إلا اتباع الظن، وما قتلوه متيقنين، بل شاكين متوهمين، لأن الله حمى نبيه العظيم، فرفعه إليه وبدنه ورُوحه حيًّا، وطَهَّرَه من الذين كفروا، أي خَلَّصَهُ من أذاهم، وكان الله عزيزًا في ملكه، حكيماً في تدبيره وقضائه.

وهذا الاعتقاد في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خيرٌ من اعتقاد النصارى فيه، فإن النصارى يعتقدون أن عيسى قُتِلَ وَصُلِبَ وَبُصِقَ في وجهه وَوُضِعَ الشوك على رأسه، ثم مات ثلاثة أيام!

والحق الذي لا مَرِيَّةَ فيه أن الله خَلَّصَ نَبِيَّهُ العظيم المسيح عيسى ابن مريم من مؤامرة القتل، ولم يُصَلَبَ أصلاً، بل رفعه الله إلى السماء في معجزة إلهية لم تحصل لنبي قبله، وحماه من القتل والصلب، فإن الله لما بعث عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسده اليهود على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، فقد آتاه الله الإنجيل، وكان يُبرئ الأكمه - وهو الذي وُلِدَ أعمى - فيمسح بيده عليه فيكون بصيراً، وكان يُبرئ الأبرص ويُحيي الموتى بإذن الله، ويُصوِّر من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا بإذن الله **عَزَّجَلَّ**، يُشاهدُ طيرانه، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذَّبه اليهود وخالفوه، مع أنه مرسل إليهم، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حسدًا من عند أنفسهم، حتى صار نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يُساكنهم في بلدة، بل يُكثر السياحة هو وأمه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في البلدان، ثم لم

يُتَقَنَعُهُمْ ذَلِكَ (أَيَ الْيَهُودِ)، فَسَعَوْا إِلَى مَلِكِ دِمَشْقِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ - وَكَانَ رَجُلًا مُشْرِكًا مِنْ عِبَادَةِ الْكُؤَاكِبِ -، وَقَالُوا لَهُ إِنَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ رَجُلًا يَفْتِنُ النَّاسَ وَيُضِلُّهُمْ وَيُفْسِدُهُمْ عَلَى الْمَلِكِ، فَغَضِبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذَا، وَكَتَبَ إِلَى نَائِبِهِ بِالْمَقْدِسِ أَنْ يَحْتَاطَ عَلَى هَذَا الْمَذْكُورِ، أَيِ يُحِيطَ بِبَيْتِهِ هُوَ وَرَجَالُهُ، وَأَنْ يَصْلِبَهُ وَيَضَعُ الشُّوكَ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَكُفَّ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ، فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابَ إِلَى وَالِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ذَهَبَ هُوَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى الْمَنْزَلِ الَّذِي فِيهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، اثْنِي عَشَرَ أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَقِيلَ: سَبْعَةَ عَشَرَ نَفْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَحَاصَرُوهُ، فَلَمَّا أَحَسَّ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ بِهِمْ وَأَنَّهُ لَا مَحَالَةَ مِنْ دُخُولِهِمْ عَلَيْهِ أَوْ خُرُوجِهِ إِلَيْهِمْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبْهِي، وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟

أَي: أَيُّكُمْ يَرْضَى بِأَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ شَبْهِي، وَيَفْتَدِينِي مِنْ أَذَاهُمْ، وَيَكُونَ ثَوَابَهُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟

فَقَامَ شَابٌ مِنْهُمْ وَانْتَدَبَ نَفْسَهُ لِذَلِكَ، وَلَكِنِ الْمَسِيحُ اسْتَصَغَرَ سِنَّهُ، فَأَعَادَ الْمَسِيحُ الطَّلَبَ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ لَا يَقُومُ إِلَّا ذَلِكَ الشَّابُّ، عَازِمًا عَلَى أَنْ يَفْتَدِيَ الْمَسِيحَ بِنَفْسِهِ لئَلَّا يَصِيبَ الْمَسِيحُ أَذَى، فَلَمَّا رَأَى الْمَسِيحُ تَصْمِيمَ الشَّابِّ قَالَ لَهُ: (أَنْتَ هُوَ)، أَي: لَا بَأْسَ بِأَنْ تَكُونَ أَنْتَ الشَّخْصَ الَّذِي يَقُومُ بِهِذِهِ الْمَهْمَةُ، فَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ شَبَهَ الْمَسِيحِ، حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ الْمَسِيحُ، وَفُتِحَتْ نَافِذَةٌ مِنَ سَقْفِ الْبَيْتِ، وَأَخَذَتِ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سِنَّةً مِنَ النَّوْمِ، أَيِ إِغْفَاءَةٍ، فَرُفِعَ إِلَى

السماء وهو كذلك، لم يُصبه سوء، ولم يستطع اليهود أن يؤذوه، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَسَىٰ إِنَّي مُتُوفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (١).

فلما رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ خَرَجَ أَوْلَئِكَ النَّفَرُ أَصْحَابُ الْمَسِيحِ -الحواريون- من البيت، فلما رأى أولئك المحيطون بالبيت ذلك الشابَّ ظنوا أنه المسيح، فأخذوه في الليل وقتلوه وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، وافتخر اليهود بذلك وتبجحوا، وصدقَّتْهم طوائفٌ من النصارى لجهلهم بحقيقة الأمر، ما عدا مَنْ كان في البيت مع المسيح من الحواريين، فإنهم شاهدوا رفعه وسلامته من الأذى، وأما غيرهم فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح نفسه.

وهذا كله من امتحان الله لعباده، فله في ذلك الحكمة البالغة.

وقد أوضح الله حقيقة الأمر وجلَّاه وبيَّنه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيَّد بالمعجزات والبيِّنات والدلائل الواضحات، فقال تعالى -وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، المُطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السماوات والأرض، العالم بما كان وما يكون-، قال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَا كُنْ سُبِّهَ لَهُمْ﴾ (٢)، أي: رأوا شبهه فظنوه إياه، ثم قال ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾، يعني بذلك

(١) سورة آل عمران: ٥٥.

(٢) سورة النساء: ١٥٧.

من ادَّعى قتله من اليهود، ومن صدَّقهم من النصارى، ثم قال ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧)، أي: وما قتلوه متيقنين أنه عيسى، بل شاكين متوهمين.

ثم قال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٥٨)، أي أن الله عزيز، أي غالب، منيع الجناب، وقد تبينت هذه العزة والغلبة في هذه القصة العظيمة التي نجَّى الله فيها نبيه الكريم من الأذى والإهانة، ثم وصف نفسه بقوله ﴿حَكِيمًا﴾ أي أنه حكيم في جميع ما يُقدِّره ويقضيه من الأمور التي يخلُقها، يضع الأمور مواضعها، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر النافذ.

وقد اُتفرق النصارى بعد رفع المسيح إلى ثلاث طوائف، فقالت طائفة: (كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء)، وهؤلاء هم اليعقوبية، زعموا أن المسيح هو الله، تعالى الله عن ذلك.

وقالت فرقة: (كان فينا (ابن الله) ما شاء، ثم رفعه الله إليه)، وهؤلاء هم النسطورية، تعالى الله عن أن يتخذ ولدًا.

وقالت فرقة: (كان فينا (عبد الله ورسوله) ما شاء، ثم رفعه الله إليه)، وهؤلاء هم أتباع المسيح حقًا، الذين لم ينحرفوا عن الاعتقاد الصحيح فيه، ولم يعظموه التعظيم الزائد عن الحد المسموح، ولم يصفوه بشيء من أوصاف الألوهية ولا الربوبية.

فلما بعث الله نبيه محمدًا بدينه الخاتمي، دين الإسلام، الذي نسخ الله به

جميع الشرائع، وجعله الدين المقبول إلى قيام الساعة؛ أقر هذه الحقيقة التي اختلف النصارى واليهود فيها، فمن آمن بالمسيح على أنه عبدٌ رسولٌ بشرٌ نبِيٌّ من عند الله، وأن الله رفعه إليه ونجاه من الأذى؛ فهذا من أهل الحق، وأما من وصف المسيح بما يخالف ذلك فقد ضل عن طريق الحق، وقال إثماً عظيماً، واستحق الوصف بالكفر والدخول في النار.

ذكر الدليل التفصيلي على ما تقدم من رفع المسيح إلى السماء

روى ابنُ أبي حاتمٍ (١) عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ؛ خَرَجَ عَلَيَّ أَصْحَابِي، وَفِي الْبَيْتِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ -يَعْنِي مِنَ الْحَوَارِيِّينَ- فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ (٢) فِي الْبَيْتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً فَقَالَ: إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي.

ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبْهِي فَيُقْتَلُ مَكَانِي، وَيَكُونُ مَعِي فِي دَرَجَتِي (٣)؟
فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحَدِهِمْ سِنًّا (٤)، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ.

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن أبي حاتم، سورة النساء: ١٥٧، وروى ابن جرير هذه القصة

بإسناده في تفسيره «جامع البيان» في آخر تفسير سورة الصف.

(٢) العين هي عين الماء، وهي البئر التي تكون في البيوت في الماضي لاستخراج الماء منها.

(٣) يعني أنه سيكون معه في درجته في الجنة؛ ثواباً له على أنه افتدى المسيح بنفسه.

(٤) أي من أقلهم عمراً.

ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: اجْلِسْ.

ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: أَنَا.

فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ ذَاكَ.

فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى، وَرَفَعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ (١) فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ.

قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ (٢) فَأَخَذُوا الشَّبَةَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ، فَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ، وَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فَرِيقٍ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: (كَانَ اللَّهُ فِيْنَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ)، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: (كَانَ فِيْنَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ.

وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: (كَانَ فِيْنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)، وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ (٣).

(١) روزنة أي فتحة.

(٢) أي جاء الذين يطلبون المسيح ويبحثون عنه.

(٣) المقصود بالمسلمين هنا هم أتباع المسيح على الحق، لأن كلمة الإسلام لها معنيان: عام وخاص، فأما العام فهو عبادة الله وحده وطاعة النبي الذي أرسل فيهم، وهذا الوصف (المسلمون) ينطبق على أتباع كل نبي من آدم إلى محمد بما فيهم المسيح.

والمعنى الثاني لكلمة الإسلام هو خصوص الدين الذي بعث الله به النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَاتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَفَتَلَوْهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ (١) طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (٢). (٣)

وَفِي الْحَدِيثِ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا» (٤) بِيَضًا مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ» (٥).

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «عَلَى مِيلَادِ عَيْسَى (٦)، وَحُسْنِ يُوسُفَ» (٧).

والذي يسمي أتباعه بالمسلمين.

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) سورة الصف: ١٤.

(٣) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

(٤) جُرْدًا جَمْعُ أَجْرَدٍ وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ شَعْرٌ جَسْمٌ، وَمُرْدًا جَمْعُ أَمْرَدٍ وَهُوَ الَّذِي لَا لَحْيَةَ لَهُ.

(٥) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥) وغيره، وحسنه محققوه برقم (٧٩٣٣).

(٦) معنى قوله (على ميلاد عيسى) أي: في سنه الذي رُفِعَ فِيهِ، وَهُوَ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً كَمَا سَيَأْتِي.

(٧) رواه الضياء المقدسي في «صفة الجنة» (١١٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تحقيق: صبري بن سلامة

شاهين، الناشر: دار بلنسية - الرياض.

ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تحقيق علي رضا، الناشر:

دار المأمون - دمشق.

وَكَذَا قَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، أَنَّهُ قَالَ: رُفِعَ عَيْسَى، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. (١)

قال المؤرخ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ (البداية والنهاية):

أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ رَفَعَ الْمَسِيحَ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَمَا تَوَفَّاهُ بِالنَّوْمِ، رَفَعَهُ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ كَهَيْئَتِهِ لَمَّا كَانَ فِي الْأَرْضِ (٢)، وَخَلَّصَهُ مِمَّنْ أَرَادَ أَدْبِيتَهُ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَشَوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ الْكُفْرَةَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لِيَقْتُلُوهُ.

وقصة ذلك أن أعداء المسيح من اليهود سعوا لتوريط المسيح مع السلطات الرومانية الحاكمة لفلسطين آنذاك ليقتلوه، فوشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان، فأمر بقتله وصلبه، فحصره في دار بيت المقدس، وذلك عشية الجمعة ليلة السبت، وسبب ذلك العدا أن اليهود لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى؛ حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات، فقد كان يبرئ الأكمة (٣) والأبرص ويحيي الموتى

والحديث صححه الألباني بشواهد في «السلسلة الصحيحة» (٢٥١٢).

(١) رواه أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٤٨١ / ١) برقم (١١٠٠).

(٢) جاء في الحديث عن النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه رفعه إلى السماء الثانية، فهو باقي هناك حتى يأذن الله بنزوله في آخر الزمان. انظر: «صحيح البخاري» (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) عن

أنس بن مالك **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٣) الأكمة هو الذي وُلِدَ أعمى.

بإذن الله، ويصوّر من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يُشاهد طيرانه بإذن الله **عَزَّوَجَلَّ**، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه، ليعلم الناس أنه نبي، فكذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى صار عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لا يُساكنهم في بلدة، بل يُكثر السياحة والاختفاء عنهم في البلاد هو وأمه مريم **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**.

ثم لم يُقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملكٍ دمشق في ذلك الزمان، وكان رجلًا مشرّكًا من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل دينه (اليونان)، فقالوا له إن بيت المقدس رجلًا يفتن الناس ويضلُّهم ويُفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالمقدس - وهو داوُد بن يُورا - أن يقبض على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكفّ أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، وكان مع جماعة من أصحابه، اثني عشر أو ثلاثة عشر، وقيل سبعة عشر نفرًا، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصره هنالك، فلَمَّا حَانَ وَقْتُ دُخُولِهِمْ أَلْقَى اللهُ شَبَهَ الْمَسِيحِ عَلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ، وَرُفِعَ الْمَسِيحُ مِنْ فَتْحَةٍ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ يَنْظُرُونَ، وَدَخَلَتِ الشَّرْطَةُ فَوَجَدُوا ذَلِكَ الشَّابَّ الَّذِي أَلْقَى عَلَيْهِ شَبَهَهُ، فَأَخَذُوهُ ظَانِينَ أَنَّهُ عَيْسَى، فَصَلَبُوهُ وَوَضَعُوا الشُّوكَ عَلَى رَأْسِهِ إِهَانَةً لَهُ، وَتَبَجَّحُوا بِذَلِكَ، وَصَدَّقَ عَامَّةُ النَّصَارَى الْيَهُودَ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ قَتَلُوا

المسيح، لأنهم لم يعلموا حقيقة الأمر ولم يشاهدوا ما حدث في داخل البيت، فظنوا كما ظنت اليهود أن المقتول المصلوب هو المسيح، وَضَلُّوا بِسَبَبِ ذَلِكَ ضَلَالًا مُبِينًا كَثِيرًا فَاحِشًا بَعِيدًا. (١)

وَهُنَا قَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ فَيَقُولُ: لِمَاذَا يَكْرَهُ الْيَهُودُ الْمَسِيحَ؟

فَالْجَوَابُ: أَنْ دَعْوَةَ الْمَسِيحِ وَتَعَالِيمَهُ السَّمْحَةَ تَتَنَاقَضُ مَعَ طَبَائِعِ الْيَهُودِ الْمَادِّيَةِ الشَّرِهَةِ، وَقُلُوبِهِمُ الْقَاسِيَةَ الْمُتَكَبِّرَةَ الْمُتَحَجِّرَةَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَنَصَحَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِاتِّبَاعِهِ اتَّهَمُوهُ بِأَنَّهُ مُدَّعٍ لِلنُّبُوَّةِ، وَكَفَرُوا بِالْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ، وَقَالُوا: إِنَّهَا تَتِمُّ بِمُسَاعَدَةِ الشَّيَاطِينِ.

{فائدة تاريخية} (٢)

لَمَّا صَلَبَ الْيَهُودُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ثُمَّ أَلْقَوْهُ بِخَشْيَتِهِ (٣)؛ جَعَلُوا مَكَانَهُ مَطْرَحًا لِلْقَمَامَةِ وَالنَّجَاسَةِ وَحَيْفَ الْمَيْتَاتِ وَالْقَادُورَاتِ (٤)، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ فِي زَمَانِ قُسْطَنْطِينِ (٥)، فَعَمَدَتْ أُمُّهُ هَيْلَانَةُ الْحَرَّانِيَّةُ الْفِنْدِقَانِيَّةُ فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ هُنَالِكَ مُعْتَقِدَةً أَنَّهُ

(١) انظر «البداية والنهاية» لابن كثير، باب ذكر رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ، و«تفسير القرآن العظيم»، له، سورة النساء: ١٥٧.

(٢) بتصرف يسير من «البداية والنهاية» لابن كثير، خاتمة باب ذكر رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ.

(٣) أي الخشبة التي صَلَبَ عَلَيْهَا.

(٤) يريدون بهذا إهانة المسيح، ولم يعلم الأغبياء أن المسيح في السماء!

(٥) قسطنطين هو أحد أباطرة الرومان، عاش في مطلع القرن الرابع الميلادي، لما رأى الخلاف

المسيح، ووجدوا الخشبة التي صلب عليها المصلوب، فعظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب واللالئ، ومن ثم اتخذوا الصلبنات وتبركوا بشكلها وقبلوها، وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة، وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة، فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس، التي يقال لها «القمامة»، باعتبار ما كان عندها، ويسمونها «القيامة»، يعنون التي يقوم جسد المسيح منها.

ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقادوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود^(١)، فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب^(٢) رضي الله عنه بيت المقدس، فكنس عنها القمامة بردائه، وطهرها من الأخبث والأنجاس.^(٣)

دب في مملكته بين النصارى، بين قائل بأن المسيح بشر، وقائل بأنه إله؛ جمع الأساقفة والبتاركة في قصره بمدينة (نيقية)، وهي قرية من اسطنبول، وأمرهم بتوحيد اعتقادهم في هذا الموضوع حسماً للخلاف، فرأى الأكثرية القول بأن المسيح بشر، والأقلية إلى أنه إله، ولكن قسطنطين مال إلى أنه إله مع أنه قول الأقلية لأن هذا القول أقرب إلى عقيدته، فهو وثني لا يؤمن بدين، ففرض هذا القول بقوة السلطان، واستمر القول على هذا على أنه من أصول دين المسيح، عليه من الله ما يستحق.

(١) فعلت هيلانة هذا نكايةً باليهود الذين تظن أنهم قتلوا المسيح وصلبوه.

(٢) وهو الخليفة الثاني للمسلمين بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) هذا الفعل من الخليفة المسلم عمر بن الخطاب يبين أخلاق الإسلام في مقابل أخلاق اليهود،

فقد أزال رضي الله عنه قمامة متراكمة على مدى ثلاثة قرون، منذ القرن الرابع الميلادي إلى سنة

(٦٣٧ م) عندما فتح بيت المقدس، أزالها من الصخرة التي هي قبلة اليهود، فما أعظم أيادي

انتهى بحمد الله الفصل الثامن «قصة رفع المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء، وحماية الله له من القتل والصلب»، ويليه الفصل التاسع بعنوان: «اختلاف أصحاب المسيح بعد رفعه إلى السماء»
 وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين
 إلى يوم الدين.



الفصل التاسع:

اختلاف أصحاب المسيح

بعد رفعه إلى السماء^(١)

اختلف أصحاب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه بعد رفعه إلى السماء على أقوال:

فقال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله، فَرُفِعَ إلى السماء.

وقال آخرون: هو الله.

وقال آخرون: هو ابن الله.

فالقول الأول هو الحق وأصحابه هم أهل الحق، والقولان الآخران

كفر عظيم.

ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدثت الطامة العظمى، والبلية الكبرى، فقد اختلف البتاركة الأربعة، وجميع الأساقفة، والقساوسة، والشمامسة، والرهبان، اختلفوا في المسيح على أقوال متعددة، لا تنحصر ولا تنضب، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم أصحاب

(١) هذا الفصل منقول من «البداية والنهاية» لابن كثير، فصل: ذكر صفة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وشمائله

المَجْمَع الأول، فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات فسموا «الملكية»، ودَحَضَ مَنْ عداهم وأبعدهم، وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس، الذي ثبت على أن عيسى عَبْدٌ من عباد الله، ورسولٌ من رسله، فسكنوا البراري والبوادي، وبنوا الصوامع والديارات والقلايات (١)، وقنعوا بالعيش الزهيد، ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل، وبنّت الملكية الكنائس الهائلة، وعمدوا إلى ما كان من بناء اليونان، فحولوا محاربيها إلى الشرق، وقد كانت إلى الشمال إلى نجم الجدي.

وبنى الملك قسطنطين «بيت لحم» على محل مولد المسيح، وبنّت أمه هيلانة القمامة على قبر المصلوب (٢)، وهم يُسَلِّمون لليهود أنه المسيح.

وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء، ووضعوا القوانين والأحكام، ومنها مخالف للعتيقة التي هي التوراة، وأحلُّوا أشياء هي حرام بنص التوراة، ومن ذلك الخنزير، وصلُّوا إلى الشرق، ولم يكن المسيح صلى إلا إلى صخرة بيت المقدس، وكذلك جميع الأنبياء بعد موسى، ومحمد خاتم النبيين صلى إليها

(١) القلايات جمع قلاية، وهي مكان عبادة يشبه الصومعة، وتُجمع على قلالي. انظر «المعجم الوسيط».

(٢) تقدم بيان أن الشخص المصلوب ليس هو المسيح، وإنما هو شخص افتدى المسيح بنفسه لثلاثي يقتلوه، وهو يشبه المسيح، فظنه اليهود هو المسيح فقتلوه وصلبوه، ونجى الله نبيه المسيح من الأذى، ورفعته إلى السماء معزِّزاً مكرِّماً.

بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر، أو سبعة عشر شهراً، ثم حوّل اتجاه صلاته إلى الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل.

وصوروا الكنائس ولم تكن مصوّرةً قبل ذلك، ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونسائهم ورجالهم، التي يسمونها بالأمانة، وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخيانة، وجميع الملكية والنسبورية أصحاب نسطورس، أهل المجمع الثاني، واليعقوبية أصحاب يعقوب البرادعي أصحاب المجمع الثالث، يعتقدون هذه العقيدة، ويختلفون في تفسيرها.

وها أنا أحكيها^(١)، وحاكي الكفر ليس بكافر، لأنبه على ما فيها من ركة الألفاظ، وكثرة الكفر، والخبال المفضي بصاحبه إلى النار ذات الشواظ، فيقولون:

نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وكل ما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب، قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوي الأب في الجوهر الذي كان به كل شيء من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصُلب على عهد بيلاطس النبطي وتألّم وقُبر، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب،

(١) المتكلم هو ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية».

وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب.

وأيضاً، فسيأتي بجسده ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لمُلكه، وروح القدس الرب المُحيي المنبثق من الأب والابن مسجود له، وبمجد الناطق في الأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدّسة رسولية، وأُعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وترجى قيامة الموتى، وحياة الدهر الآتي. آمين. (١)

انتهى كلام الحافظ ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ.

انتهى بحمد الله الفصل التاسع «اختلاف أصحاب المسيح بعد رفعه إلى السماء»، ويليه الفصل العاشر بعنوان: «قصة نزول المسيح إلى الأرض ورجوعه إليها في آخر الزمان».

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.

(١) ضبطت نص الأمانة من كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/٢٢٩)، لابن

الفصل العاشر:

قصة نزول المسيح إلى الأرض

في آخر الزمان وما يتلوه من أحداث إلى موته عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال الله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١).

مقدمة

ستكون للمسيح عيسى ابن مريم في آخر الزمان ستة أحداث:

الأولى نزوله من السماء على منارة أحد مساجد المسلمين في مدينة

دمشق.

والثانية أنه سيقتل المسيح الدجال بيده، ويريح الناس منه (٢).

والثالثة إهلاك قوم يأجوج ومأجوج (٣) بسبب دعائه ودعاء من معه من

المسلمين عليهم.

(١) سورة النساء: ١٥٩.

(٢) سيأتي التعريف بالمسيح الدجال.

(٣) سيأتي التعريف بقوم يأجوج ومأجوج.

والرابعة أنه سيكسر الصليب الذي يعبدُه النصارى، ويرُدُّ الجزيةَ التي كانت تؤخذ منهم مقابلَ تمتُّعهم بالعيش تحت حكم المسلمين، فلا يقبلها حينئذ، ولا يقبل إلا الدخولَ في دين الإسلام، ويقتل الخنزيرَ.

والخامسة أنه سيحكم المسلمين سنوات طويلة، هي أفضل أيام الدنيا.

والسادسة أنه سيحج إلى مكة.

وفيما يلي تفصيل لكل واحدة من هذه الأحداث، نسأل الله التوفيق والسداد.

الحدث الأول - نزول المسيح من السماء

حال الناس قبل نزول المسيح

• في آخر الزمان وقبل قيام الساعة تحصل معركة بين المسلمين والروم، في «الأعماق»، وهي بلد بين حلب وأنطاكية، أو بـ«دابق»^(١)، والمعركة تحصل لأن المسلمين يريدون فتح القسطنطينية، وهي المعروفة الآن بإستانبول، وقد فُتحت القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح عام (١٤٥٣) هجري، ولكن الروم سيسترجعونها، وفي آخر الزمان تقوم هذه المعركة بين الفريقين لاسترداد القسطنطينية مرة أخرى، وحيازتها إلى حكم المسلمين.

(١) دابق، قرية قرب حلب، بينها وبين حلب أربعة فراسخ. انظر «معجم البلدان»، مادة: دَبَقَ.

• والروم هم من النصارى، وهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

• فيخرج جيش من المسلمين من «المدينة» من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافوا للقتال قالت الروم: (خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سُبُّوا مِنَّا نَقَاتْلَهُمْ)، يعنون بذلك مَنْ سباهم المسلمون^(١) في بعض المعارك ثم أسلموا على أيديهم لَمَّا فهموا دين الإسلام واقتنعوا به، فهؤلاء يطالبُ بهم الروم ليقتلوهم لكونهم أسلموا، فيقول المسلمون: (لا والله، لا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا)، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث المسلمين، لا يتوب الله عليهم أبداً، لأنهم فروا من المعركة، وهذا إثم عظيم، ويُقتل ثلثهم، هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلثُ القسطنطينية، حيث إنهم سيتوجهون إلى القسطنطينية بعد انكسار جيش النصارى في أرض المعركة، ويفتحونها، وبهذا يكون قد تم القضاء على النصارى عسكرياً، ولم تبق لهم شوكة، وهؤلاء الثلث لا يُفتنون أبداً^(٢).

ظهور الدجال ونزول المسيح ابن مريم

• فينما المسلمون يقتسمون الغنائم وقد علّقوا سيوفهم بشجر الزيتون إذ

(١) سباهم المسلمون أي أخذوهم من ساحة المعركة وصاروا أسرى.

(٢) أي يثبتون على الإسلام حتى الممات، والفتنة هي الاختبار.

صاح فيهم الشيطان: (إن المسيح -أي المسيح الدَّجَال (١)- قد خَلَفَكُمْ

(١) المسيح الدجال رجل من بني آدم، سُمِّيَ بذلك لأنه يمسح الأرض بضلاله، أي ينشر ضلاله في الأرض، يخرج في آخر الزمان من غضبة يغضبها، يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، يفتن الناس بما أعطاه الله من الخوارق، كإنزال المطر وإحياء الأرض بالنبات وإخراج كنوزها، يخرج من «أصبهان»، وهي بلد تقع في إيران، ومعه سبعون ألفاً من يهودها، يعيث في الأرض فساداً، ويدعو الناس لعبادته، ويدعي الربوبية، أي يدعي أنه هو الله، فينتقل من أصبهان فيمر من طريق بين الشام والعراق، ويعيث بها يميناً وشمالاً، أي يُفسد ما لقيه في طريقه ببث فتنه التي ينشرها بين الناس، ويلبث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا، وسرعته في الأرض كسرعة الغيث -أي المطر- إذا استدبرته الريح، ومعه فتن أجراها الله على يديه، ليُتقن الناس بأنه هو الله بزعمه، فمن آمن بما يدعيه هلك، ومن حاد عن طريقه وتركه نجاه، ومن فتنته أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تُنبث فتنبث، فتسمن الماشية، وتشبع الإبل، فإذا مر على قوم فلم يؤمنوا به أصبحوا مُمحلين -أي أصابهم القحط وهو انقطاع المطر- ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالأماكن الخربة فيقول لها: (أخرجي كنوزك)، فتتبعه كنوزها كذكور النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه قطعتين، ثم يدعو فيقوم ذلك الشاب ويقبل وهو متهلل وجهه ويضحك، وكل هذه الفتن هي من عند الله، ليست من عند الدجال، ولكن الله أجراها على يديه ليميز المؤمن الصادق الذي يعبد الله على بصيرة من الجهال والكفار الذين يعبدون الله على البدع والضلالات والكفریات، ويركضون خلف كل ناعق.

وكلمة الدجال من الدَّجَل، وهو الخلط والتليس والكذب والتليس.

والدجال يطأ كل أرض إلا أربعة أماكن وهي مكة والمدينة والمسجد الأقصى والطور، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد (٣٦٥/٥) أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أنذرتكم

في أهليكم)، أي أنه قد ظهر، وقد أقام مُقامكم في أهليكم، وهو -أي الشيطان- كاذب عليهم في الحقيقة، فالدجال لم يظهر ولكنه يريد إفزاز جيش المسلمين وإفساد أمرهم وتنغيص فرحتهم، فيخرجون إليه -أي إلى المسيح الدجال-، فإذا ذهبوا إلى الشام فإذا المسيح الدجال قد خرج فعلاً، فردَّ الله كيدَ الشيطان عليه، فبينما هم يُعدُّون لقتاله ويُسوِّون الصفوف إذ أقيمت صلاة الفجر، فينزل المسيح عيسى ابن مريم من السماء على المنارة البيضاء بالجامع الأموي شرقي دمشق^(١)، ينزل بين مهرودتين، أي قطعتين من الثياب، والثوب المهرود هو المصبوغ بالورس ثم بالزعفران^(٢)، واضعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأَّطَأَ

المسيح... علامته يمكث في الأرض أربعين صباحاً، يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور.

قال محققو «المسند» (٣٨/١٨٠): قوله (لا يأتي أربعة مساجد)، ذكر منها الأقصى والطور، ولم يرد ذكرهما إلا في هذا الحديث فيما نعلم، وليس في الأحاديث الصحيحة إلا ذكر مكة والمدينة.

وقوله (يبلغ سلطانه كل منهل) أي يبلغ سلطانه كل مورد ماء، لأن المنهل هو مورد الماء، وموارد الماء تكون الطرق عليها.

(١) قد بُنِيَتْ هَذِهِ الْمَنَارَةُ مِنْ حِجَارَةٍ بَيْضٍ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ بِالْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ الْآنَ.

(٢) انظر «النهاية»، مادة: هَرَدَ.

رَأْسُهُ قَطْرًا، أَي قَطَرَ مِنَ الْعَرَقِ (١)، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ (٢) كَاللُّؤْلُؤِ (٣)، فَلَا يُمْكِنُ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِ الْمَسِيحِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، أَي بَصْرَهُ، فَإِذَا نَزَلَ الْمَسِيحُ قَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ - وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْمَهْدِيِّ (٤) -: (تَعَالَى صَلِّ لَنَا)، أَي: كُنْ

(١) انظر «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/٢٠٦)، لابن الجوزي، الناشر: مدار الوطن - الرياض.

(٢) الجُمان هو اللؤلؤ الصغار، وقيل: حَبٌّ يُتَّخَذُ مِنَ الْفِضَّةِ أَمْثَالَ اللَّؤْلُؤِ. انظر «النهاية»، مادة: جمن.

(٣) المراد أنه يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فيسمى جمائناً لشبهه به في الصفاء والحسن. انظر شرح النووي على الحديث.

(٤) قال الشيخ محمد بن صالح المنجد حفظه الله:

الإمام المهدي هو رجل صالح من ذرية محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يكون في آخر الزمان، يُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَ النَّاسِ، وَيَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلَّتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، وَاسْمُهُ عَلِيُّ اسْمِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَاسْمُ أَبِيهِ عَلِيُّ اسْمِ أَبِي النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ، أَوْ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ، وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وَعَلَامَةُ ظُهُورِهِ فُسَادُ الزَّمَانِ، وَامْتِلَاءُ الْأَرْضِ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

ثم قال: ويكون ظهوره قبل خروج الدجال وقبل نزول عيسى ابن مريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يجمع المسلمين ويقودهم، ويكون مقدمةً لنزول عيسى ابن مريم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، ويدل لذلك حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة.

إمامنا في الصلاة ونحن نصلي خلفك، فيقولُ المسيح: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكريمه الله هذه الأمة.

فيصلي المسيح خلف المهدي أمير المسلمين، وهذا من كرامة الله لهذه الأمة، أن واحداً من ذرية النبي محمد **صلى الله عليه وسلم** سيصلي خلفه نبي عظيم وهو المسيح ابن مريم، بينما المهدي ليس نبي.

أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده».

وقال ابن القيم في «المنار المنيف» (١/١٤٧): إسناده جيد.

والحديث أصله في صحيح مسلم بدون تسميه الأمير...

فيأتم عيسى عليه السلام بالمهدي مما يدل على أنه قبل عيسى، وعيسى يقتل الدجال، مما يدل على أن الدجال يخرج في زمن المهدي، ثم بعد مقتل الدجال يكون المسيح هو إمام الناس.

انتهى مجموع كلامه حفظه الله نقلاً من موقعه: www.islamqa، سؤال رقم (١٧٤٠١٧٠) وانظر سؤال رقم (٤٣٨٤٠، ١٧٤٠١٧٠).

قال مقيده عفا الله عنه: فالمهدي يحكم بشريعة الإسلام، ويحیی تعاليمه في نفوس الناس بعد اندراسه وضعفه، وفُشُو الظلم والعدوان، وقد أشار النبي **صلى الله عليه وسلم** إلى الحِقبة الزمنية التي يتولى فيها المهدي أمر الناس ويقيم أمرهم في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي **صلى الله عليه وسلم** يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم **صلى الله عليه وسلم** فيقول أميرهم (يعني المهدي): تعال صل لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكريمه الله هذه الأمة.

رواه مسلم (١٥٦).

- وهذا يدل أيضاً على أن المسيح سيعبد الله على شريعة محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - شريعة الإسلام-، لأنه سيصلي صلاة المسلمين، وهذا ليس بغريب، فقد بعث الله نبيه محمداً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** للناس كافة، بما فيهم المسيح، فإذا نزل المسيح عبد الله بشريعة الإسلام. كذلك فقد بشر المسيح بمحمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وأمر قومه -بني إسرائيل- بالإيمان به والدخول في دينه الإسلام، فمن باب أولى أن يفعل المسيح ذلك، ويطبق ما أمره الله به. (١)

(١) انظر كتاب "The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible"، وهو

منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.



الحديث الثاني - اللّٰحق بالدجال والقضاء عليه مع مَنْ معه من اليهود

• وبعد انقضاء الصلاة خلف أمير المسلمين يذهب المسلمون في طلب الدجال ومعهم المسيح ابنُ مريم، فَيَلْحَقُهُ عِنْدَ «بَابِ لُدٍّ»، وهي قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، فإذا رأى المسيح الدجالُ المسيحَ ابنَ مريم ذابَ كما يذوب المِلح في الماء، فلو تركه لَذابَ كما يذوب الملح في الماء حتى يهلك بالكلية، ولكن المسيح يتداركه وَيَقْتُلُهُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ، ثم يُرِي المسلمون دمه في حربته، ويريح الناس من فتنه وإغوائه، والحمد لله تعالى. (١)

وقتل المسيح الدجال من أعظم مناقب وفضائل المسيح ابن مريم، لأنه أعظم فتنة حصلت للناس منذ خلق الله آدم، وقد قضى الله أن يكون هلاك مسيح الضلالة وهو الدجال على يد مسيح الهداية وهو عيسى ابن مريم، وهذا من أعظم مناقبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• ومن مناقب المسيح قتال اليهود الذين كانوا بصحبة الدجال، وقتلهم

(١) انظر قصة نزول المسيح وقتله للدجال في «صحيح مسلم» (٢٨٩٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وكذا (١٥٦) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكذا (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان

الكلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلا مَنْ أسلم منهم، ثم بعد هذا يقع السلام والأمان في الأرض، وقد لخص قصة قتل اليهود الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله حيث قال:

روى البخاري (٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ فَتَسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَأَقْتُلْهُ).

وفي صحيح مسلم (٢٩٢٢) من حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ)، إِلَّا الْعَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ).

وقد جاء في بعض الروايات ما يدل على أن قتال اليهود المذكور في هذا الحديث سيكون في آخر الزمان حين يخرج الدجال وينزل المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقتله.

روى عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يُنزَلُ الدَّجَالُ فِي هَذِهِ السَّبْحَةِ بِمَرِّ فَنَاءِ^(١))، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنْ

(١) فناة هي وادٍ في المدينة يمر بين المدينة وجبل أُحُد. انظر «معجم معالم الحجاز»

(١٤٠٥/٧)، تأليف: عاتق البلادي، الناشر: مؤسسة الريان - لبنان.

الرَّجُلَ لِيَرْجِعَ إِلَى حَمِيمِهِ (١) وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقَهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ (٢)، فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِي تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوْ الْحَجَرِ فَيَقُولُ الْحَجْرُ أَوْ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْنِي فَأَقْتُلْهُ).

رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٥ / ٩) (٣).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي «فَتْحِ الْبَارِي» (٦ / ٦١٠): فالمراد بقتال

اليهود: وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى. انتهى.

وقال ابن الملقن: «المراد بقوله (تقاتلون اليهود) إذا نزل عيسى، فإن

المسلمين معه، واليهود مع الدجال».

انتهى من «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٧ / ٦٦٣).

وهو ما جزم به جمع من شراح الحديث، بل أخرج الإمام الترمذي

(٢٢٣٦) حديث عبد الله بن عمر السابق في باب «علامة الدجال».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اليهود إنما ينتظرون المسيح

(١) أي الصديق الذي لَمَّته به صداقة متينة ومودة.

(٢) أي إذا ذهب لفلسطين يُسَلِّطُ اللهُ المسلمين عليه وعلى من معه من اليهود فيقتلونهم كما تقدم،

فالدجال سيخرج من أصفهان ويمر بالمدينة ثم يذهب إلى فلسطين، ثم يُقتل هناك.

(٣) ط الرسالة.

الدجال، فإنه الذي يتبعه اليهود، ويخرج معه سبعون ألف مُطَيْلَس (١) من يهود أصبهان، ويقتلهم المسلمون معه، حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي تعال فاقته. انتهى من «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/ ٣٠).

ويقول الشيخ ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ: «فإن عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يغزوه، ومعه المسلمون، فيقتله بباب اللُد، باب هناك في فلسطين، قرب القدس، يقتله بحرته كما جاء في الحديث الصحيح، والمسلمون معه يقتلون اليهود قتلة عظيمة، جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المسلمين يقاتلون اليهود، فيقتلونهم، ويُسلطون عليهم، يُنادي الشجر والحجر: (يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي تعال فاقته)، فيقتل عيسى الدجال وينتهي أمره».

انتهى من «فتاوى نور على الدرب» لابن باز، بعناية الشويعر (٤/ ٢٩٠).

وإذا خرج الدجال تبعه عشرات الآلاف من اليهود واجتمعوا معه يريدون قتال المسلمين، فينزل المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويجمع معه المسلمون لقتال الدجال وأتباعه، فيدعو عيسى ابن مريم اليهود للإسلام، ولا يقبل منهم في ذلك الوقت إلا الإسلام، فيسلم منهم مَنْ يُسلم، ويبقى منهم مَنْ يبقى على يهوديته، فتكون المعركة التي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) مُطَيْلَس أي لِبَس الطيلسان، وهو نوع من الثياب.

وبهذا يتبين أن المعركة من جانب المسلمين معركة عادلة مشروعة يحبها الله تعالى بلا شك، ومما يدل على ذلك:

- أنها ضد الدجال ومؤيديه الذين اجتمعوا لقتال المسلمين: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١).

- ولأنها معركة يخوضها المسلمون تحت قيادة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أحد الرسل الكرام.

- أن الله تعالى يُكْرِمُ المسلمين (٢) في هذه المعركة بهذه الكرامة، وهي نُطْقُ الحجر والشجر ومناداته على المسلم حتى يقتل اليهودي الذي يختبئ وراءه.

فكل ذلك يدل على أنها معركة عادلة يحبها الله، كما هو الشأن في المعارك الإسلامية كلها التي يكون المقصد منها إعلاء كلمة الله في الأرض، (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). رواه مسلم (١٩١٥). والله أعلم.

انتهى كلام الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله، باختصار يسير. (٣)

(١) سورة التوبة: ٣٢.

(٢) ينبغي التنبه إلى أن المسيح واحد من المسلمين.

(٣) انظر الإجابة في موقعه: <https://islamqa.info/ar/٢٢٣٢٧٥>

إخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزُبر الدجال ليحذره الناس

• أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بظهور الدجال وبصفاته الخَلْقِيَّة في عدة أحاديث ليعرفه الناس ويحذروا منه، وهذا من وحي الله له.

والمسيح الدجال يَطُّ كلَّ أرض، ولكن الله يعصم مكة والمدينة منه، لشرف هاتين البقعتين، فتقف ملائكة يحرسونهما من الدجال، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة**، وليس نَقَبٌ من أنقابها^(١) إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بالسَّبَّخَةِ^(٢)، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومناق.^(٣)

فإذا يئس الدجال من دخول مكة والمدينة اتجه إلى فلسطين، فبينما هو كذلك إذ جاءه المسيح ومعه المسلمون، فيقتله بحرْبته كما تقدم.

وقد حذر جميع الأنبياء من الدجال، وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفاته حتى يحذره الناس، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إني لأُنذركموه، ما من نبي إلا وقد أنذره قومَه، لقد أنذره نوحٌ قومَه، ولكن أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي**

(١) النقب هو الطريق بين جبلين. انظر «النهاية»، مادة: نقب.

(٢) السَّبَّخَةُ هي الأرض التي تعلوها الملوحة، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. انظر «النهاية»،

مادة: سَبَخ.

(٣) رواه البخاري (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ لمسلم.

لقومه: تعلموا^(١) أنه أعور، وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ليس بأعور.^(٢)

وقال: إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبه طافية.^(٣)

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه «كافر»، ثم تهجاها «ك ف ر»، يقرؤه كل مسلم.^(٤)

ومن فتن الدجال أن معه جنة وناراً، فناره جنة، وجنته نار^(٥)، أي: من استجاب له ودخل في الجنة التي معه فإنها نار في الحقيقة، ومن استجاب له ودخل في النار التي معه فهي في الحقيقة جنة.

وسائل الحفظ من فتنة الدجال

• لقد أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ العشر آيات من أول سورة الكهف؛ لأنها تعصم من فتنة المسيح الدجال، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ

(١) أي اعلّموا وتحققوا.

(٢) رواه البخاري (٦١٧٥) ومسلم (١٦٩) الذي بعد (٢٩٣١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واللفظ لمسلم.

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٩) ومسلم (١٦٩) الذي بعد (٢٩٣٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) انظر «صحيح مسلم» عقيب الحديث رقم (٢٩٣٣) برقم (١٠٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) انظر «صحيح مسلم» (٢٩٣٤) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا رواه مسلم (٢٩٣٦) من حديث أبي هريرة بنحوه.

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال. (١)

• كما أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ بأن من سَمِعَ به فليُنْأَ عنه ولا يَتَلَقَاهُ لئلا يَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالشَّبَهَاتِ الَّتِي مَعَهُ فِيهَلِكُ، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ سَمِعَ بِالْجَالِ فَلْيُنْأَ عَنْهُ، وَاللَّهُ إِنْ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَهُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشَّبَهَاتِ، أَوْ: لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشَّبَهَاتِ. (٢)

• كَمَا عَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ أَنْ يَسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الْجَالِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ فِي خَاتِمَةِ الصَّلَاةِ قَبْلَ السَّلَامِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الْجَالِ. (٣)

(١) رواه مسلم (٨٠٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٣١٩).

(٣) رواه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨)، واللفظ لمسلم.

فائدة: قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قاله ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «البداية والنهاية» (١٧/١١٥)، باب: ذكر ما يعصم من الدجال، ط:

• وقد خلق الله المسيحين المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، أحدهما ضد الآخر، فالأول يعم الأرض خيره، والآخر يعم الأرض شره، والله في خلقه شئون.

• وخلاصة الكلام «أن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه، كما تقدم أن من استجابوا له فإنه يأمر السماء فتمطرهم، والأرض فتنب لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم مواشيهم سماناً لبناً، ومن لا يستجيب له ويردُّ عليه أمره تُصيبيهم السنة^(١) والجذب والقحط، وأنه يتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل^(٢)، وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس بمخرقة^(٣)، بل له حقيقة امتحن الله به عباده في ذلك الزمان، فيضل به كثيراً ويهدي به كثيراً، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً». (٤)

دار ابن كثير - دمشق.

(١) السنة أي الجذب. انظر «النهاية»، مادة: سنة.

(٢) أي ذكور النحل.

(٣) أي ليس عن سحر أو شعوذة أو تخييل للعين، بل هو حقيقة، وهو بأمر الله وتديره وتقديره، وليس بأمر الدجال وقدرته.

(٤) قاله ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «البداية والنهاية» (١٧/١١١-١١٢)، (ذكر أحاديث مشورة عن

الدجال)، ط دار ابن كثير - دمشق، باختصار يسير.

• ثم بعد مقتل المسيح الدجال، يأتي المسيح ابنُ مريم إلى قومٍ قد عصمهم الله من فتنة الدجال، فيمسح عن وجوههم^(١)، ويحدثهم عن درجاتهم في الجنة.

(١) يمسح عن وجوههم وكأنه يرفع غمَّهم بما لاقوا من الدجال. قاله ابن الجوزي في «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/٢٠٦)، الناشر: مدار الوطن - الرياض.



الحديث الثالث - قصة المسيح ابن مريم مع يأجوج ومأجوج

فبينما المسيح يمسح عن وجوه من عصمهم الله من فتنة الدجال إذ أوحى الله إليه أني قد أخرجتُ عبداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم - أي لا قدرة لأحد على قتالهم -، يعني بذلك قوم يأجوج ومأجوج، فَحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، أَي: ضَمَّهم إِلَيْهِ واجعله لهم حِرْزاً وواقياً^(١)، والطور هو الجبل الذي كلَّم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** موسى عليه، ويقع في صحراء سيناء بمصر، ويأجوج ومأجوج قبيلتان كافرتان من ذرية آدم، عراض الوجوه، صغار العيون، كانوا مفسدين في الأرض، كما قال الله عنهم في سورة الكهف: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢)، فسخر الله «ذا القرنين» فبنى سداً من حديد ونحاس مذاب وحبسهم فيه^(٣)، فلا يزالون يحفرونه حتى يأذن الله بخروجهم في آخر الزمان، فينهدم ذلك السد، فيخرجون بأعدادهم الهائلة، فيمر أوائلهم على «بحيرة طبرية»^(٤) فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم عليها فيقولون: (لقد كان بهذه مرة

(١) انظر «النهاية»، مادة: حَرَزَ.

(٢) سورة الكهف: ٩٤.

(٣) سيأتي تفصيل الكلام في موضوع بناء ذي القرنين للسد على قوم يأجوج ومأجوج.

(٤) بحيرة طبرية موضع بالشام كالبركة تحيط بها الجبال، ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة من جهة

ماء)، وهذا يدل على كثرتهم العظيمة، أن شرب أولهم ما في البحيرة فإذا جاء آخرهم فإذا هي جافة، فيفسدون في الأرض تقتيلاً للناس وإهلاكاً، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه في الطور حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم^(١)، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، وهذا شاهد من القصة، وهو كونه يرغب إلى الله، أي يدعو الله بضراعة ويسأله ويطلبه هو ومن معه من المسلمين أن يهلك هؤلاء القوم الكفار المفسدين في الأرض، ليهبطوا من الطور ويعيشوا مطمئنين على أنفسهم، فيستجيب الله دعاء المسيح ومن معه، فيرسل الله عليهم النِّغْفَ في رقابهم، وهو نوع من الدود يكون في أنوف الغنم والإبل^(٢)، فيصيحون فرسى - أي موتى - كموت نفس واحدة، يموتون موتاً جماعياً، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه من الطور، أي ينحدرون منه، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه نتنهم، أي رائحة جيفهم، فيرغب^(٣) نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله مرة أخرى ليذهب عنهم هذه الرائحة، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، وهي الجمال طوال الأعناق^(٤)، فتحمل جثثهم

=
«بانياس» والساحل والأردن الأكبر. انظر «معجم البلدان»، مادة: طَبَر.

(١) هكذا أخبر النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) انظر «النهاية»، مادة: نَغْفَ.

(٣) يرغب أي يتضرع ويسأل.

(٤) انظر: «النهاية»، مادة: بَخْتَ.

الخبیثة فطرحها حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلْفَةِ، وهي المرأة، شَبَّهَهَا بها لاستوائها ونظافتها (١). (٢)

وقد دلت النصوص الصحيحة الصريحة على أن يأجوج ومأجوج من الكفار في الدنيا، وأنهم كذلك من أصحاب النار في الآخرة، ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ.

قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟

قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ.

قالوا: يا رسول الله، وَأَيْنَا ذَلِكَ الواحد؟

قال: أَبَشِّرُوا؛ فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا... الحديث. (٣)

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: وهذا صريح أن يأجوج ومأجوج من بني آدم، وأنهم يدخلون النار (٤).

(١) انظر «النهاية»، مادة: زَلْفَ.

(٢) انظر قصة خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم في «صحيح مسلم» (٢٩٣٧).

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢).

(٤) انتهى من «لقاء الباب المفتوح».

ومما يدل على كُفر قوم يأجوج ومأجوج وطغيانهم؛ محاصرتهم لنبى الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من المؤمنين في الطور، واعتقادهم بغلبة وقهر من في السماء، أي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، تعالى الله عن ذلك، كما قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عنهم: **فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ فِي السَّمَاءِ، فَتَرْجَعُ مُخَضَّبَةً بِالدَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ قَسْوَةً وَعُلُوًّا.** (١)



(١) رواه الترمذي (٣١٥٣) وابن ماجه (٤٠٨٠) وأحمد (٥١١/٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني **رَحْمَةً اللهُ**. وأصله في مسلم (١١١) عقيب حديث رقم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الحديث الرابع - كسر الصليب وقتل الخنزير ورد الجزية

• من الأحاديث التي وردت عن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة نزول المسيح ابن مريم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ (١)، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَعْرِفُوهُ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ (٢) إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثوبان مُمَصَّران (٣)، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ (٤)، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمْنَةُ (٥) عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى تَرْتَعَ (٦) الْأَسْوَدُ مَعَ

(١) العَلَّاتُ هن زوجات الرجل الواحد، فقوله (إخوة لِعَلَّاتٍ) أي إخوة لهم أب واحد وأمّهات شتّى، والمراد هو التشبيه، تشبيه الأنبياء الذين يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده مع كون شرائعهم مختلفة بالإخوة الذين لهم أب واحد وهو التوحيد مع كونهم من أمّهات شتّى، وهن الشرائع.

(٢) تقدم بيان معنى هذه الكلمة، وأنها بين الطويل والقصير.

(٣) المُمَصَّرَةُ من الثياب هي التي فيها صُفْرَةٌ خفيفة، والمعنى أنه سينزل في ثوبين فيهما صُفْرَةٌ خفيفة. انظر «النهاية».

(٤) يدقه أي يكسره.

(٥) الأَمْنَةُ أي الأمن. انظر «النهاية».

(٦) ترتع أي ترعى. انظر «النهاية».

الإبل، والنَّمَارُ^(١) مَعَ الْبَقْرِ، وَالذَّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ.^(٢)

• ومن الأحاديث التي وردت عن النبي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في قصة نزول

المسيح ابن مريم حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ:

والذي نفسي بيده، لِيُوشَكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

ثم قال أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ

مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.^(٣)

(١) النَّمَارُ جمع نَمْرٍ.

(٢) رواه أحمد (٤٠٦/٢) وصححه محققو «المسند» (٩٢٧٠).

تنبيه: قال محققو «المسند»: وأما ما وقع في «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن مدة مكث عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تكون سبع سنين؛ ففي إسناده يعقوب بن عاصم بن عروة، لم يوثقه غير ابن حبان، وهو رجل غير مشهور، وقال ابن حجر في «التقريب»: (مقبول) أي عند المتابعة، وإلا فهو لئِن، ولم يتابعه على هذا أحد فيما نعلم، والله تعالى أعلم.

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٨، ٢٤٧٦، ٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، واللفظ للبخاري.



شرح ألفاظ الحديث

قوله (لِيُوشَكَّنَ) أي لِيَقْرَبَنَّ، فيه إشارة إلى قرب زمان نزول المسيح.

قوله (فيكم) أي في هذه الأمة.

قوله (حَكَمًا) أي ينزل حاكمًا بهذه الشريعة، لا ينزل بشريعة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حُكَّام هذه الأمة. (١)

قوله (يَكْسِرُ الصَّلِيبَ) فيه إشارة إلى إبطال دين النَّصْرَانِيَّةِ بِأَنْ يَكْسِرَ الْمَسِيحُ الصَّلِيبَ، لأنهم يعظمونه ويعبدونه، وتعظيم الصليب ليس من دين المسيح أصلًا، وحاشاه أن يأمر به، بل هو مما دخل في دين المسيح في القرون التي تلت رفع المسيح، وإلا فإن المسيح لم يُصَلَّبَ أصلًا ولم يَعْبُدَ صليبيًا ولا غيره، إنما كان يعبد الله وحده.

قوله (يقتل الخنزير) لأنَّ لَحْمَهُ من المطاعم الخبيثة، وهو محرَّم في شريعة الإسلام، وقتله من باب تطهير الأرض من الخبائث.

قوله (ويضع الجزية) أي لا يقبلها من أحد، لأن الجزية كانت تؤخذ من النصارى مقابل تمتعهم بحكم المسلمين وحفظ أموالهم وأعراضهم، فإذا نزل المسيح فإنه لا يقبل الجزية، بل لا يقبل إلا الدخول في دين الإسلام، فمن دخل

(١) قاله النووي في شرح الحديث.

في الإسلام سلم دمه، ومن أبى فعقوبته القتل، لأنه سيكون معانداً رافضاً للمسيح نفسه.

قوله (ويفيض المال) أي يكثر في زمن نزول عيسى ابن مريم، وسبب كثرته نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم.

وفي رواية مسلم: وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاوُدُ، وَلَيُدْعَوْنَ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ.

القِلاص هي الإبل الفتيّة، جمع قلوص، فهذه لا يسعى عليها، أي لا يهتم الناس بها ولا يعتنون بها. قال النووي رحمه الله: «وَمَعْنَاهُ أَنْ يُزْهَدَ فِيهَا وَلَا يُرْغَبَ فِيهَا أَقْتِنَائِهَا لِكثْرَةِ الْأَمْوَالِ، وَقِلَّةِ الْأَمَالِ، وَعَدَمِ الْحَاجَةِ، وَالْعِلْمِ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ.

وَإِنَّمَا ذَكَرَتْ الْقِلَاصَ لِكَوْنِهَا أَشْرَفَ الْإِبِلِ، الَّتِي هِيَ أَنْفَسُ الْأَمْوَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ.

وَمَعْنَى (لَا يُسْعَى عَلَيْهَا): لَا يُعْتَنَى بِهَا، أَيْ يَتَسَاهَلُ أَهْلُهَا فِيهَا، وَلَا يَعْتَنُونَ بِهَا». انتهى باختصار.

وفي إعراض الناس عن أخذ المال إشارة إلى أنه لا يوجد فقراء أصلاً، فالكل سيكونون أغنياء.

قوله (حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)، أي إن الناس حينئذ يرغبون عن الدنيا ويعرضون عنها، حتى تكون السجدة الواحدة لهم أحبّ

إِلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لعلمهم بقرب قيام الساعة، وذهاب زمن العمل الصالح. وفي هذا إشارة أيضاً إلى صلاح النَّاسِ وَشِدَّةَ إِيمَانِهِمْ وَإِقْبَالَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، فَهُمْ لِذَلِكَ يُؤَثَّرُونَ الرَّكْعَةَ الْوَاحِدَةَ عَلَى جَمِيعِ الدُّنْيَا.

وأما قوله تعالى في الآية المتقدمة ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩) فمعناها: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل موت المسيح، وفي يوم القيامة يكون المسيح شهيداً على مَنْ لم يؤمن به الإيمان الصحيح بأنه نبي بشر، أرسله الله إلى بني إسرائيل بالمعجزات، ليس له من خصائص الألوهية ولا الربوبية شيء، وأنه دعا قومه إلى الإيمان بمحمد فورَ ظهوره.

وحينئذ يعلم كلُّ عابد لعيسى أنه كان مخطئاً، وأن اتخاذه رباً إلهاً ليس من دين عيسى ولا محمد ولا موسى ولا أيٍّ واحد من الأنبياء، ويندم حين لا ينفع الندم.

وقد تبين معنا أن المسيح «سينزل إلى الأرض ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً متبايناً، فمن مُدَّعِي الإلهية كالنصارى، ومن قائلٍ فيه قولاً عظيماً، وهو أنه وَلَدُ زَنِيَّةٍ وهم اليهود، ومن قائلٍ إنه قُتِلَ وَصُلِبَ ومات، إلى غير ذلك، فإذا نزل إلى الأرض قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كَذِبَ نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء». (١)

(١) قاله ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «البداية والنهاية» (١٧/١١٣)، باب: الحكمة في عدم التصريح باسم =

الحديث الخامس - مرحلة السلام العالمي ورغد العيش تحت حكم المهدي ثم المسيح

بعد هلاك الدجال ثم قوم يأجوج ومأجوج يعيش الناس بخير وطمأنينة ورغد عيش، وقد استراحوا من رءوس الشر، وهم الدجال وقوم يأجوج ومأجوج، فيأمر الله الأرض: (أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك)، فيكثر الرزق في الناس، بسبب كثرة الطاعات والعبادات بين الناس، وتلاشي الشرك في عبادة الله، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، وهي الجماعة من الناس ^(١)، ويستظلون بقحفها، أي قشرها ^(٢)، ويُبارك في الرُّسل، أي اللبن، حتى إن اللقحة ^(٣) من الإبل لتكفي الفئام من الناس، وهم الجماعة الكثيرة من الناس ^(٤)، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ^(٥).

• وفي هذه المرحلة الزمنية المباركة يُتوفى المهدي، وتكون مدة حكمه

الدجال، ط دار ابن كثير - دمشق، بتصرف يسير.

(١) انظر «النهاية»، مادة: عَصَبَ.

(٢) انظر «النهاية»، مادة: فَحَفَ.

(٣) اللقحة هي الناقة القريية العهد بالنتاج. انظر «النهاية»، مادة: لَقَحَ.

(٤) انظر «النهاية»، مادة: فَأَمَّ.

(٥) انظر «صحيح مسلم» (٢٩٣٧).

سبع سنين^(١)، ثم يتولى المسيح ابن مريم أمر المسلمين، وتلتف حوله الطائفة المنصورة التي أشار إليها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في قوله: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**... الحديث.^(٢)

ويكون حكم المسيح معتمداً على شريعة الإسلام بالطبع، كما قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم فأتمكم منكم؟^(٣) ومعنى (أتمكم منكم) أي أتمكم بشريعتكم، المستقاة من كتاب ربكم وهو القرآن، وسنة نبيكم محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

• وفي هذه الحِقبة الزمنية من نزول المسيح يحصل السلام العالمي، فلا يكون هناك عداوة ولا حروب، فالناس كلهم مسلمون، ويكون الناس في عيش رغيد، وحينها لن يوجد فقير واحد، وستترك الزكاة فلا يأخذها أحد، لأنه لا يوجد فقير أصلاً، فالناس كلهم في عيش رغيد، جزاء لهم من الله بسبب قيامهم بطاعة الله وتركهم لما يُغضب الله، وتلاشي الأديان الباطلة والمحرفة، وطهارة الأرض من الشرك في عبادة الله.

(١) انظر سنن أبي داود (٤٢٨٥)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رواه مسلم (١٥٦)، وقد تقدم.

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٩) ومسلم (١٥٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ لمسلم.

- ويستمر الناس في رغد عيشٍ في سنوات حكم المسيح عليهم، ثم يُتوفى، ويُصَلِّي عليه المسلمون، وتكون مدة مكثه في الأرض أربعين سنة. (١)

مرحلة ما بعد وفاة المسيح

- هذه المرحلة التي تتلو وفاة المسيح تخرج فيها أجيال لا تعرفُ معروفًا ولا تُنكر منكرًا، أي لا تفعل المعروف ولا تترك فعل القبيح، ويعم الكفر الأرض، فيرسل الله ريحًا، فتقبض أرواح المؤمنين، وبعدها تقوم الساعة على شرار الناس، والدليل على هذا قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم» (٢)، فتقبض رُوح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة» (٣)، أي يتناكح الرجال والنساء في ذلك الزمان أمام الناس بلا حياءٍ كما تتناكح الحمير في الطرقات.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ اللهُ. (٤)

(١) رواه أحمد (٤٠٦/٢) وصححه محققو «المسند» (٩٢٧٠).

(٢) آباط جمع إبط، وهو باطن المنكب.

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي الباب عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٤) رواه مسلم (١٤٨).



الحديث السادس - المسيح ابن مريم سيحج إلى مكة، لأداء فريضة الحج أو العمرة أو كليهما

• ومن أخبار المسيح ابن مريم أنه سيقوم بعبادة الحج إلى بيت الله الحرام في مكة، والدليل على هذا قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:

والذي نفس محمد بيده، لِيُهَلَّنَ (١) ابنُ مريم بَفَجِّ الرَّوْحَاءِ (٢)، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لِيُشْنِيَهُمَا (٣). (٤)

انتهت الأحداث الستة.

(١) يُهَلُّ أي يرفع صوته بالتلبية للدخول في عبادة الحج.

(٢) فَجِّ الرَّوْحَاءِ هو موضع بين مكة والمدينة. انظر «معجم البلدان».

(٣) أي ربما يُهَلُّ المسيح بالحج أو بالعمرة أو بهما معاً.

(٤) رواه أحمد (٢/ ٢٤٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال محققو «المسند» (١٢/ ٢١٧): إسناده

صحيح على شرط مسلم.

فوائد متنوعة في موضوع نزول المسيح ابن مريم

ينبغي أن يُعلم أن من دلائل عِظَم قدر النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن المسيح **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - وهو من أولي العزم من الرسل - سيكون أحد أتباعه، بل سيكون والياً على المسلمين كلهم، مطبقاً للشريعة الإسلامية، وسيكون هذا إذا نزل المسيح في آخر الزمان، كما تقدم.

الأمم الثلاث كل واحدة تنتظر مُنتظراً

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: والأمم الثلاث تنتظر منتظراً يخرج في آخر الزمان، فإنهم وُعدوا به في كل ملة، والمسلمون ينتظرون نزول المسيح عيسى ابن مريم من السماء لكسر الصليب وقتل الخنزير وقتل أعدائه من اليهود وعبّاده من النصارى. ويتنظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً. (١)

انتهى من «إغاثة اللهفان» (٢/ ٣٣٨) (٢).

(١) دليل هذا قول النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وعدواناً. رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٦)، وقال محققو «المسند» (١٧/ ٤١٦): صحيح على شرط الشيخين. ومعنى (عترتي) أي أقاربي الخاصين، إذ معنى العترة أي الأقارب الخاصين.
(٢) بتحقيق محمد حامد الفقي.

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وأما اليهود فينتظرون قائماً من ولد داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، يزعمون أنه إذا حَرَكَ شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم، وأن هذا المنتظر -بزعمهم- هو المسيح الذي وُعدوا به، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون مسيح الضلالة الدجال، فهم أكثر أتباعه، وإلا فمسيح الهدى عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقتلهم، ولا يبقى منهم أحداً». (١)

فاليهود سيعاقبهم الله بنقيض قصدهم، بأن يكون إمامهم المنتظر - المسيح الدجال- هو سبب هلاكهم، بسبب كفرهم بمسيح الهداية، فيأتي المسيح ابن مريم والمهدي ومَن معهما من المسلمين فيقتلونهم جميعاً، هم وإمامهم المنتظر الذي سينضون تحت لوائه، كما صح بهذا الخبر عن نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن اللطائف أن اليهود يجتمعون الآن في المكان الذي ستكون فيه المعركة، وهو فلسطين، كما نشاهده الآن، بعد احتلالهم لها، وسينضم معهم سبعون ألفاً من يهود أصبهان، ثم يكون سحقهم على أرض فلسطين المباركة.

وهناك أمة رابعة تنتظر منتظراً وهم الرافضة، الشيعة الإمامية، ينتظرون خروج مهديهم من سرداب في مدينة سامراء بالعراق، يقولون إنه دخل السرداب

(١) قاله ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/٣٣٨)، بتحقيق محمد حامد الفقي.

في عام ٢٧٥ هجري، وهو باقٍ فيه منذ ذلك الحين، وسيخرج بزعمهم وتكون الدولة لهم، ويملاً الأرض عدلاً ورخاءً كما مُلئت جوراً وظلمًا، وهذا كله دجل وخرافة، ولا حقيقة له، والسرداب ليس فيه شيء، ولا يمكن لبشر أن يبقى في جوف الأرض هذه المدة الطويلة بلا طعام ولا شراب، ولكن دين الرافضة كله كذب وتلفيق ودجل، ومعادنة للعقل وتعلق بالخرافات، وهم مع هذا ينسبون أنفسهم للإسلام، والإسلام من إفكهم بريء.

قال الشيخ محمد بن صالح المنجد حفظه الله:

يكون الحكم لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن يقتل الدجال، وهو مسيح الضلالة الذي ينتظره اليهود، فالمسلمون ينتظرون المسيح الحق الذي لم يُقتل ولم يُصلب، والنصارى ينتظرون المسيح الموهوم الذي قُتل وصلب وقُبر، واليهود ينتظرون المسيح الدجال الذي يقتله الله على يد عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ودلت السنة -أيضاً- على أن هلاك قوم يأجوج ومأجوج يكون بدعاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبهذا تطهر الأرض من أهل الشرك والكفر، ولا يبقى إلا أهل التوحيد والإيمان. (١)

تعريف بـ«ذي القرنين» الذي بنى السد على قوم يأجوج ومأجوج

الذي بنى السد حائلاً على قوم يأجوج ومأجوج هو ذو القرنين، بناه

(١) فائدة منقولة من موقعه: <https://islamqa.info/ar/170174>

دونهم كحاجز حتى لا يخلصوا إلى الناس فيفسدوا عليهم عيشتهم، قال الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله:

ذو القرنين المذكور في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (١)، كان ملكاً من ملوك الأرض وعبداً صالحاً مسلماً، طاف الأرض يدعو إلى الإسلام ويقاتل عليه من خالفه، فنشر الإسلام (٢) وقمع الكفر وأهله وأعان المظلوم وأقام العدل.

صح عن مجاهد أنه قال: «مَلَكُ الْأَرْضِ مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا أَرْبَعَةُ نَفَرٍ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ، فَالْمُؤْمِنَانِ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَذُو الْقَرْنَيْنِ، وَالكَافِرَانِ: بُخْتَنْصَرٌ وَنَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ، لَمْ يَمْلِكْهَا غَيْرَهُمْ».

رواه الطبري في «التفسير» (٥/٤٣٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«ذكر الله تعالى ذَا الْقَرْنَيْنِ هَذَا وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالْعَدْلِ، وَأَنَّهُ بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَمَلَكَ الْأَقَالِيمَ، وَقَهَرَ أَهْلِهَا، وَسَارَ فِيهِمْ بِالْمَعْدَلَةِ التَّامَةِ (٣) وَالسُّلْطَانَ الْمُؤَيَّدَ الْمُظْفَرَّ الْمَنْصُورَ الْقَاهِرَ الْمَقْسُطَ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ مَلِكًا

(١) سورة الكهف: ٨٣.

(٢) أي الإسلام بمعناه العام، وهو عبادة الله وحده وترك عبادة من سواه.

(٣) يعني بالمعدلة التامة؛ العدل التام.

من الملوك العادلين».

انتهى من «البداية والنهاية» (٢ / ١٢٢).

انتهى كلام الشيخ محمد صالح المنجد. (١)

انتهى بحمد الله الفصل العاشر «قصة نزول المسيح إلى الأرض في آخر الزمان وما يتلوها من أحداث إلى موته»، ويليه الفصل الحادي عشر بعنوان: «الأحاديث الواردة عن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضائل المسيح عيسى ابن مريم وأخباره، عليهما جميعاً أفضل الصلاة والسلام».

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.

(١) هذه الفائدة منقولة من موقعه: <https://islamqa.info/ar/١٥٨١٩٠>

وقد جاءت عدة أحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذكر يأجوج ومأجوج، منها حديث زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي رواه البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠).

وكذلك حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أحمد (٧٧ / ٣) وابن ماجه (٤٠٧٩)، وقال الألباني: حسن صحيح.

الفصل الحادي عشر:

الأحاديث الواردة عن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في فضائل المسيح عيسى ابن مريم وأخباره،
عليهما جميعاً أفضل الصلاة والسلام^(١)

الحديث الأول:

قال النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ: أُجِيبْهَا أَوْ أَصَلِّي؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتَّهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجْهَ الْمُؤَمِّسَاتِ^(٢)، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتَهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الْغُلامَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلامٌ؟ قَالَ: الرَّاعِي.
قَالُوا: نَبِيِّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ.
قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ.

(١) اقتصرنا هنا على ذكر الأحاديث التي لم تُذكر في ثنايا البحث، طلباً للاختصار وعدم التكرار.

(٢) أي الزواني.

وَكَاثِتِ امْرَأَةً تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ (١)، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمِصُّهُ.

ثُمَّ مَرَّ بِأَمَةٍ (٢) فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ يَقُولُونَ سَرَقَتْ زَيْنَتِ وَلَمْ تَفْعَلْ (٣).

الحديث الثاني:

قال النبي محمد ﷺ:

(أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَالَتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ) (٤).

قوله (أولاد عالات) فيه تشبيه للأنبياء بالأبناء من أب واحد وأمها تسمى، فالأمهات هن الشرائع وفيها يحصل الاختلاف، مثل كيفية الصلاة والصوم ونحو ذلك، والأب هو أصول الاعتقاد، وهو المواطن المتفق عليه بين جميع

(١) أي صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن يُتَعَجَّب منه. قاله ابن حجر في شرح الحديث.

(٢) أي مملوكة.

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

شرائع الأنبياء، وهي أصول الاعتقاد كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

الحديث الثالث:

قال النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(إذا أدب الرجل أُمَّتَهُ فأحسنَ تَأديبَهَا، وَعَلَّمَهَا فأحسنَ تَعليمَهَا، ثم أعتقَهَا فتزوجَهَا كانَ لَهُ أَجرَانِ، وَإِذَا آمَنَ بِعيسىؑ ثم آمَنَ بي فَلهُ أَجرَانِ، وَالعَبْدُ إِذَا اتَّقَى رَبَّهُ وَأطَاعَ مَوَالِيَهُ (١) فَلهُ أَجرَانِ) (٢).

الحديث الرابع:

قال النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) (٣).

(١) أي أسياده.

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٦) ومسلم (١٥٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والثناء، كقول إن عيسى ابن مريم هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة.

والنصارى هم أتباع النبي عيسى ابن مريم، وهم المعروفون بالمسيحيين، وهم إنما سُموا نصارى لتناصرهم فيما بينهم، وقيل إنهم سُموا بذلك تبعاً للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك، كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، وقيل إنهم سُموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها «ناصر» بفلسطين، وقيل إنهم سُموا بذلك لأن عيسى خرج منها.

الحديث الخامس:

قال النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(يَقْتُلُ ابْنَ مَرْيَمَ الدَّجَالَ بِيَابِ لُدٍّ) (١).

«بابُ لُدٍّ» قرية في فلسطين.

الحديث السادس:

قال النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧)، والترمذي (٢٢٤٤)، واللفظ له.

(رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْرَقْتَ؟

قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي) (١).

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سَجِيَّةِ طَاهِرَةٍ، حَيْثُ قَدَّمَ حَلْفَ ذَلِكَ الرَّجُلِ - وَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا لَا يَحْلِفُ بِعَظْمَةِ اللَّهِ كَاذِبًا - عَلَى مَا شَاهَدَهُ مِنْهُ عِيَانًا، فَقَبِلَ عُذْرَهُ، وَرَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، أَيَّ صَدَّقْتِكَ، وَكَذَّبْتُ بَصْرِي لِأَجْلِ حَلْفِكَ.

الحديث السابع:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاءِ غُرْلًا» (٢). ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٣)، فَأَوَّلَ الْخَلْقِ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤) إِنْ

(١) رواه البخاري (٣٤٤٤) ومسلم (٢٣٦٨).

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٣) غرلاً أي غير مختونين.

تُعَدُّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ (١). (٢)

• وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَتَرُهُ مَا بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ؛ سِتْمِائَةَ سَنَةٍ. (٣)

• وَذَكَرَ الْمَوْرِخُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الْمَوْرِخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَّى الْحَوَارِيِّينَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ بِأَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَيَّنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ فِي إِقْلِيمٍ مِنَ الْأَقَالِيمِ مِنَ الشَّامِ وَالْمَشْرِقِ وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ أَصْبَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُ الْمَسِيحُ إِلَيْهِمْ.

انتهى بحمد الله الفصل الحادي عشر «الأحاديث الواردة عن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فضائل المسيح عيسى ابن مريم، عليهما جميعاً أفضل الصلاة والسلام»، يليه الفصل الثاني عشر بعنوان: «صفة المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَمَائِلُهُ».

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين
إلى يوم الدين.

(١) سورة المائدة: ١١٧.

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٧) ومسلم (٢٨٦٠).

(٣) رواه البخاري (٣٩٤٨).

الفصل الثاني عشر:

صِفَةُ الْمَسِيحِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَمَائِلُهُ

١. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ وَصِدِّيقَةٌ﴾، قِيلَ: سُمِّيَ الْمَسِيحَ لِمَسْحِهِ الْأَرْضَ، وَهُوَ سِيَاحَتُهُ فِيهَا، وَفِرَارُهُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لِشِدَّةِ تَكْذِيبِ الْيَهُودِ لَهُ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٢. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ: ... وَلَقِيتُ عِيسَى. فَنَعْتُهُ (١) النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: رَبْعَةٌ أَحْمَرُ (٢) كَأَنَّهَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ - يَعْنِي الْحَمَّامِ. وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ، وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ (٣).

٣. وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ (٤) عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا

(١) نَعْتُهُ أَي وَصَفَهُ.

(٢) رَبْعَةٌ أَي بَيْنَ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ. انظُر «شرح النووي على صحيح مسلم».

(٣) رواه البخاري (٣٤٣٧) ومسلم (١٦٨).

(٤) جعد الرأس أي أن شعره متجعّد، وضده الشعر السَّبَط وهو المسترسل. انظُر «النهاية».

مُوسَى فَادَمَ (١) جَسِيمٌ سَبَطٌ (٢)، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ (٣)» (٤).

٤. وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى الْمَسِيحَ فِي الْمَنَامِ، وَمِمَّا قَالَهُ فِي الْحَدِيثِ فِي وَصْفِهِ: رَجُلٌ آدَمٌ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ آدَمَ الرَّجَالِ، تَضْرِبُ لِمَتِّهِ (٥) بَيْنَ مَنْكَبَيْهِ، رَجُلٌ الشَّعْرِ (٦)، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكَبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. (٧)

انتهى بحمد الله الفصل الثاني عشر «صفة المسيح عيسى عليه السلام
وَشَمَائِلُهُ»، ويليه الفصل الثالث عشر بعنوان: «بشارة عيسى ابن مريم بالنبي
محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

إلى يوم الدين

(١) آدم أي أسمر شديد السمرة. انظر «النهاية».

(٢) سَبَطٌ أي أن شعره مسترسل وليس متجعداً. انظر «النهاية».

(٣) رجال الزُّطِّ هم جنس من السودان والهنود. انظر «النهاية».

(٤) رواه البخاري (٣٤٣٨).

(٥) اللَّمَّة من شعر الرأس هي ما أَلَمَّت بالمنكبين. انظر «النهاية».

(٦) تقدم بيان معنى رَجَلِ الشعر.

(٧) رواه البخاري (٣٤٣٩، ٣٤٤٠) ومسلم (١٦٩).

الفصل الثالث عشر:

بشارة عيسى ابن مريم بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ
وَأُبَشِّرُ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝﴾^(١)

تفسير الآية الكريمة:

واذكر أيها الرسول لقومك حين قال عيسى ابن مريم لقومه: إني رسول الله إليكم مصدقاً لما جاء في التوراة، ومبشراً بقدوم رسولٍ بعدي اسمه «أحمد»^(٢)،

(١) سورة الصف: ٦.

(٢) النبي محمد له أسماء كثيرة، وهكذا العظماء، تكون لهم أسماء متعددة، وأشهر أسماء النبي محمد هو اسمه هذا «محمد»، وبه سمي في التوراة صريحاً.

ومنها أحمد وهو الاسم الذي سماه به المسيح عيسى ابن مريم، ومنها المتوكل، ومنها الماحي والحاشر والعاقب، أي الذي ليس بعده أحد، ومنها نبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الملحمة والفتاح والأمين.

ويُلحق هذه الأسماء الشاهد، والمبشر، والبشير، والنذير، والقاسم، والضحوك، وعبد الله، والسراج المنير، وسيد ولد آدم، وصاحب لواء الحمد، وصاحب المقام المحمود، وهناك

وهو اسم آخر للنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما جاء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالآيات الواضحات قال الكافرون: هذا الذي جئتنا به سحرٌ بَيْنٌ.

فائدة: البشارة بنبوّة نبي الإسلام، محمد بن عبد الله مثبتة في الأناجيل المتوافرة بأيدي النصارى الآن، وهذه الحقيقة الهامة مثبتة من ثمانية وعشرين وجهًا في كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible^(١)

فعلى هذا فإن الإيمان بمحمد واتباع شريعته ليس إلا طاعة لعيسى ابن مريم، والتي تعتبر طاعة لله في الحقيقة، إذ هو الذي أرسله بذلك.

والامتناع عن الدخول في دين الإسلام هو في الحقيقة معصية لعيسى ابن مريم، والتي تعتبر معصية لله في الحقيقة.

وبناء على هذا فمن دخل في الإسلام فقد كسب الإيمان بالنبي عيسى ومحمد، ومن امتنع فقد خسر النبي عيسى ومحمدًا، وصار من الكافرين المستحقين لدخول النار، وبإلها من خسارة.

غيرها من الأسماء ترك ذكرها طلبًا للاختصار.

(١) الكتاب المذكور منشور بهذا العنوان في شبكة المعلومات.

وانظر أيضًا كتاب «البشارات العجائب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلاً على وجود النبي

المبشر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم - بيروت.



انتهى بحمد الله الفصل الثالث عشر «بشارة عيسى ابن مريم بالنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ويليه الفصل الرابع عشر بعنوان: «خلاصة الكتاب: الدلائل الستون على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ».

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.



الفصل الرابع عشر:

خلاصة الكتاب:

الدلائل الستون على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح

عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

- ١- من دلائل تكريم الإسلام للمسيح أن الله ذكره باسمه (عيسى) في القرآن خمساً وعشرين مرة، كما ورد ذكره باسم (المسيح) تسع مرات، بينما لم يُذكر اسم النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن إلا أربع مرات.
 - ٢- ومن دلائل تكريم الإسلام للمسيح أن اسم أمه (مريم) ذُكر إحدى وثلاثين مرة في القرآن، بينما لم يذكر في القرآن اسم واحدة من بنات النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو زوجاته.
 - ٣- ومن دلائل تكريم الإسلام للمسيح أن إحدى سور القرآن قد سُميت باسم أمه (سورة مريم)، بينما لم تُسمَّ سورة واحدة من سور القرآن باسم إحدى بنات النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو زوجاته.
- وقد وَرَدَ كل ذلك الذِّكر للمسيح وأمه في القرآن في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بهما، دون اعتقاد أن لهما شيئاً من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هما بشر مثلنا، يَعْبُدَانِ الله كما يعبد غيرهم،

- ويرجوانه الجنة والنجاة من النار كما يرجوه غيرهم.
- ٤- ومن دلائل تكريم الله للمسيح أنه من ذرية طيبة، من نسل عمران، الذين هم من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.
- ٥- ومن دلائل تكريم الله للمسيح أن الله بَشَّرَ مريم بأنها ستُنجبه، وقد كانت البشارة عن طريق الملائكة.
- ٦- ومن دلائل تكريم الله للمسيح أن الله تعالى حفظه من نخسِ الشيطان عند ولادته.
- ٧- ومن دلائل تكريم الإسلام للمسيح أن الله خلقه بمعجزة تحتار منها العقول، وهي أنه خلقه من أمِّ بلا أب.
- ٨- ومن دلائل تكريم الإسلام للمسيح أن الله أعطاه معجزة وهو في المهد، لتكون دليلاً على أنه نبي، وهي الكلام.
- ٩- ومن دلائل تكريم الله للمسيح ما اتصف به من بَرِّه بأمه وهو في مهده، فقد كَلَّمَ أمَّهُ وطمأنها، ثم كَلَّمَ قومها الذين اتهموها بالزنا لما رأوها تحمل صبياً وهي ليست ذات زوج، فقال لهم إنه عبد الله، فاطمأنت حينئذٍ.
- ١٠- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله تعالى علمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، ومعنى الكتاب أي الكتابة، وتعليم الكتابة من أعظم نعم الله

على بني آدم لأنه يحصل بها العلم والتعليم، وقد عَلَّمَ الله المسيح الكتابة بدون معلم، وعلمه الحكمة أي السداد في القول، وقيل الفهم ومعرفة أسرار الشرع، وكلا المعنيين صحيح، وبحصول هذه النعم الأربعة حصل للمسيح أعظم نعم الله العلمية.

١١- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله جعله وجيهاً في الدنيا والآخرة، أي له مكانة ومنزلة ووجاهة عنده وعند الناس.

١٢- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله وصفه بأنه من المقربين، أي أنه من المقربين عند الله، لأنه من خواص الأنبياء وأولي العزم منهم.

١٣- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله وصفه بأنه من الصالحين.

والدليل على هذه الصفات الثلاث (كونه وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ومن الصالحين) قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ (١).

١٤- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله طهره، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ومعنى ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ أي: منجيك ومخلصك من كيد اليهود لك بالقتل والصلب، ونظير هذا

(١) سورة آل عمران: ٤٥، ٤٦.

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(١)، ومعنى قوله: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾، أي رَدَدْتُ عَنْكَ أَذَاهُمْ.

١٥- ومن دلائل تكريم المسيح أنه من أولي العزم من الرسل، وهم خمسة؛ نوح وإبراهيم وموسى والمسيح ومحمد، عليهم صلوات الله وسلامه.

١٦- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله أعطاه معجزة لما كبر، وهي أنه كلم قومه بالوحي، وأخبرهم أنه نبي، وكان هذا وهو في سن الثلاثين.

١٧- ومن المعجزات التي أعطاه الله إياها لتكون دليلاً على نبوته أنه كان يُحيي الموتى ويُبْرِئ الأكمه - وهو الذي وُلِدَ أعمى - وهذا من أشد أنواع العمى، ويُبْرِئ الأبرص، وينبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم من الأطعمة، وهذا يدل على أنه يوحى إليه، لأنه ليس أحدٌ من البشر يعلم ما يأكل الناس في داخل بيوتهم ولا ما يدخرونه من الأطعمة ليأكلوه في المستقبل، إلا إذا كان الله يوحى إليه بذلك، فدل على أنه نبي من عند الله، ومن المعجزات تصوير الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه المسيح فيكون طيراً بإذن الله، ومن المعجزات الدالة على نبوة المسيح نزول المائدة، استجابة لدعاء المسيح، وقد تقدم الكلام عنهما.

(١) سورة المائدة: ١١٠.

١٨- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله تعالى أيده بروح القدس وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ورد إثبات هذا في ثلاث آيات من القرآن الكريم، انظر سورة البقرة: ٨٧، ٢٥٣، وسورة المائدة: ١١٠.

١٩- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله سَخَّرَ له حواريين ليكونوا له أعواناً وأتباعاً على دينه، والحواريون هم الخُلَصَّ من الأتباع.

٢٠- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله جعل مَنْ اتبعه فوق الكافرين إلى يوم القيامة، كما قال تعالى ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(١)، فجعل الله مكانة الحواريين (أنصار المسيح) فوق مكانة مَنْ كفر بالمسيح من اليهود واعتقد به خلاف الحق.

٢١- ومن دلائل تكريم الله للمسيح ما جاء في القرآن وما ذكره النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه من الفضائل والشمائل، وقد تقدم بيان هذا في فصل خاص.

٢٢- ومن دلائل تكريم الله للمسيح ما جاء في القرآن وما ذكره النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمه مريم من الفضائل والشمائل، وقد تقدم بيان هذا في فصل خاص.

٢٣- ومن دلائل تكريم المسيح في دين الإسلام أنه حَفِظَ عنه أخباراً من سيرته المباركة لم تُحَفِظْ في الأناجيل وتراث النصارى.

(١) سورة آل عمران: ٥٥.

٢٤- ومن دلائل تكريم المسيح في دين الإسلام أنه حفظ عن أمه مريم أخباراً من سيرتها المباركة لم تُحفظ في الأناجيل وتراث النصارى.

٢٥- ومن دلائل تكريم الله للمسيح أن الله سخر له مَنْ يفتديه بنفسه لما داهمت الشرطة بيته ليأخذوه.

٢٦- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله رفعه إليه، فهو الآن بجسمه وروحه في السماء الدنيا (الأولى).

٢٧- ومن دلائل تكريم المسيح أن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلم عليه لما عُرج به إلى السماء السابعة ومرَّ به في السماء الأولى في حادثة الإسراء والمعراج المعروفة.

٢٨- ومن دلائل تكريم المسيح أنه سينزل في آخر الزمان حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، فيُطَّل ما يسير عليه النصارى من عبادة المسيح وادعاء أنه رب وابن الرب، وعبادة الصليب، ولا يقبل إلا الدخول في دين الإسلام، فمن استكبر وعاند فمصيره القتل لأنه لا حجة له إطلاقاً في الاستمرار في عبادة المسيح، فالمسيح أمامه ينكر عليه اتخاذها.

٢٩- ومن دلائل تكريم المسيح أنه سيقتل المسيح الدجال، الذي هو أعظم فتنة خلقها الله، وكفى بهذا شرفاً.

٣٠- ومن دلائل تكريم المسيح أن الله سيهلك قوم يأجوج ومأجوج بسبب

دعاء المسيح ومن معه من المسلمين عليهم، وهذا من أعظم فضائله أيضاً، لأنهم قوم مفسدون أشد الإفساد.

٣١- ومن دلائل تكريم المسيح أنه سيكون والياً ومَلِكًا على المسلمين بعد وفاة المهدي، نحو ثلاث وثلاثين سنة، وعليه فسيكون عزُّ دين الإسلام في ذلك الوقت على يديه.

٣٢- من دلائل تكريم المسيح أن سنوات حكمه وحكم المهدي قبله ستكون أحسن سنوات الدنيا، وستكون سنوات رخاء وأمان تامين في الدنيا كلها.

٣٣- ومن دلائل تكريم المسيح في دين الإسلام ما أخبر عنه النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنه سيؤدي فريضة الحج أو العمرة أو كليهما إلى مكة.

٣٤- ومن دلائل تكريم المسيح أنه بشر بنوّة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النبي الخاتمي، الذي أرسله الله للناس كافة، العربي وغير العربي، الإنس والجن، ودعا بني إسرائيل إلى الدخول في دين الإسلام، وسوف يدخل بنفسه في دين الإسلام إذا نزل في آخر الزمان، تحقيقاً لنبوّة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإعلاء لدينه الإسلام. (١)

(١) انظر كتاب:

The amazing prophecies of Muhammad in the Bible

وهذا الكتاب منشور في شبكة المعلومات بهذا العنوان.

٣٥- ومن دلائل تكريم الإسلام للمسيح ما أخبر به النبي محمد ﷺ من أن الخلائق يوم القيامة ستأتي إلى النبي نوح ليشفع لها عند الله في بدء الحساب، فيعتذر، ثم يأتون إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيعتذر، ثم يأتون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيعتذر، ثم يأتون المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يذكر عذراء، ثم يأتون محمداً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيقول: أنا لها، فيسجد لله ما شاء الله أن يسجد، ثم يقال له: (يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تُشَفِّع)، فيبدأ الله في الحساب وفصل القضاء بين الناس.

والشاهد من هذا مجيء الناس إلى المسيح ليطلبوا منه أن يشفع لهم عند ربهم لبدء الحساب، مما يدل على عظم جاهه ومكانته. وفي هذا الدليل دليل آخر على تكريم المسيح وهو أنه لم يذكر ذنباً يوجب اعتذاره من الشفاعة.

٣٦- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما ذكره الله في القرآن من أنها من أسرة طيبة وهي آل عمران، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

٣٧- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله عنها في القرآن من

وانظر أيضاً كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلاً على وجود النبي

المبشر به في التوراة والإنجيل)، تأليف د. صلاح الراشد، الناشر: دار ابن حزم - بيروت.

- أن أمها (حَنَّة) دعت ربها بأن يرزقها ذرية طيبة، فرزقها الله مريم.
- ٣٨- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله عنها في القرآن من أن أمها (حَنَّة) دعت ربها بأن يرزقها ذرية، فرزقها الله مريم مع أن (حَنَّة) كانت كبيرة في السن لا تلد، ولكن الله خرق العادة فحملت وجاءت بمريم.
- ٣٩- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن من أن أمها (حَنَّة) دعت الله بأن يرزقها ذرية طيبة، فرزقها الله مريم، فهذه الشهادة بأنها طيبة من أعظم شهادات القرآن لمريم بالخير.
- ٤٠- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر به النبي محمد ﷺ في القرآن من أن الله تعالى حماها من نخس الشيطان عند ولادتها.
- ٤١- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن أن الله اصطفاهما من أسرة طيبة وهي آل عمران.
- ٤٢- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن أن الله كفَّلها زكريا، وهو نبي، وخيرُ قومها آل عمران، وهذا من نعم الله عليها، أن جعل من تولَّى تربيتها من الكاملين المصلحين.
- ٤٣- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله عنها في القرآن من أنها كانت امرأة عابدة سالحة، وأنها كانت صِدِّيقة، أي: قوية التصديق بأمر ربها، قوية العزيمة في طاعة ربها، كما وصفها بأنها قانتة، أي: مداومة على طاعة ربها.

٤٤- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله عنها في القرآن أنها كانت تخدم في بيت المقدس، الذي هو مكان عبادة العباد، وتصلح من شأنه.

٤٥- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله عنها في القرآن من أن الفاكهة كانت تتوافر عندها في مكان عبادتها في بيت المقدس في غير عاداتها، فكانت فاكهة الصيف توجد عندها في الشتاء، وفاكهة الشتاء توجد عندها في الصيف، وهذا كرامة من رب العالمين، أن خرق العادة لمريم العذراء.

٤٦- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن أن الملائكة بشرتها بحملها بالمسيح في بادئ أمرها.

٤٧- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن أن الله أرسل إليها جبريل -رئيس الملائكة- ليخبرها بما قدر الله من أمر حملها.

٤٨- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن من اختيارها لتكون أمّ نبي.

٤٩- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن من ذكر قصة حملها وولادتها للمسيح عيسى ابن مريم بالتفصيل الدقيق في القرآن، من حين حملها به، إلى حين بلوغ مريم مرحلة المخاض، إلى أن ولدتها ثم أتت به قومها.

٥٠- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن من أنها ضاق صدرها لما سيقوله قومها عنها إذا رأوها قد جاءت بولد وهي ليست ذات زوج، مما يدل على شدة حياتها وعفافها وحفاظها على سمعتها وسمعة أسرتها.

٥١- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن من أنها رضيت بما قدره الله عليها من الحمل ولم تسخط، مع علمها بما يترتب على هذا من الأذى القولي من قومها.

٥٢- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر الله به في القرآن من تبرئتها مما قذفها به بعض النفر من قومها، حين قالوا إنها حملت بالمسيح من طريق الزنا، حاشاها من ذلك.

٥٣- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء أن اسمها (مريم) ورد في إحدى وثلاثين مرة في القرآن، بينما لم يذكر في القرآن اسم واحدة من بنات النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو زوجاته.

٥٤- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء أن إحدى سور القرآن قد سُميت باسمها (سورة مريم)، بينما لم تُسمَّ سورة واحدة باسم إحدى بنات النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو زوجاته.

٥٥- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء أن (مريم) قد سُميت باسمها إحدى سور القرآن، بينما لم تُسمَّ سورة واحدة باسمها في الإنجيل.

٥٦- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء أن سورةً من طِوال السور في القرآن سميت باسم أسرتها، وهي سورة (آل عمران)، وقد جاء فيها ذكر مريم وولادتها، كما جاء فيها ذكر كفالة النبي زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لها، كما جاء فيها ذكر أسرتها، وأن الله اصطفى أسرتها على جميع الناس، فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، أي إن الله اختار آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران، وجعلهم أفضل أهل زمانهم، كما جاء في هذه السورة ذكر المسيح وطرفٍ من قصته مع قومه، وما أيده الله به من معجزات دالة على نبوته.

٥٧- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء أن ذكرها في القرآن يأتي في مقام الاحترام والتعظيم والتبجيل اللائق بها، دون اعتقاد أن لها شيئاً من صفات الربوبية أو الألوهية، بل هي بشر مثلنا، تعبد الله كما يعبد غيرها، وترجوه الجنة والنجاة من النار كما يرجوه غيرها.

٥٨- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر به النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنها أفضل نساء العالمين في الدنيا في وقتها.

٥٩- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء ما أخبر به النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنها ستكون سيدة نساء أهل الجنة.

٦٠- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء أن أخبارها محفوظة في المصدرين الرئيسيين للإسلام، وهما القرآن، وأحاديث النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦١- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء أن ذكرها في القرآن يأتي كثيراً مقروناً بذكر ابنها النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم، وكفى بهذا شرفاً، فلم تحظ امرأة بمثل هذا الشرف، أن يأتي ذكرها مقروناً بذكر نبي في كتاب يتلى إلى يوم القيامة.

٦٢- ومن دلائل تكريم الإسلام لمريم العذراء أنه سلك مسلكاً وسطاً واضحاً في حقها، موافقاً للعقل، ليس فيه اضطراب ولا ألغاز، فلم يُعظّمها فوق قدرها كما فعل النصارى الذين قالوا: إنها قديسة؛ فعبدوها، ولم يبخسها حقّها كما فعل اليهود الذين وصفوها بالزنا، بل وصفها بالبشرية وبأنها عابدة صالحّة، وأنها أم نبي.

انتهى بحمد الله الفصل الرابع عشر «الدلائل الستون على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَام»، ويليه نتائج البحث. وصى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى يوم الدين.

خاتمة

تم البحث بحمد الله، وقد تم طرح المواضيع المهمة التالية في حياة المسيح، والتي أحسبها ستجلي كثيراً من الإشكالات القائمة في أذهان كثير من النصارى (المسيحيين) عن ماهية المسيح وأمه مريم العذراء، ومكانتهما البشرية، وبراءتهما مما نسب إليهما من إجحاف أو تعظيم زائد وصل إلى حد التألوه، وهي كالتالي:

١. قصة ميلاد أمه مريم بنت عمران.
٢. الأحاديث الواردة عن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضائل مريم ابنة عمران.
٣. قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم.
٤. الأدلة القرآنية على نبوة المسيح عيسى ابن مريم.
٥. ذكر المعجزات الدالة على نبوة المسيح عيسى ابن مريم.
٦. إثبات أن الله منزه عن الولد.
٧. قصة رفع المسيح إلى السماء.
٨. اختلاف أصحاب المسيح بعد رفعه إلى السماء.

٩. قصة نزول المسيح، وما يحصل بعد نزوله من أحداث عظام.
١٠. الانحرافات في الإيمان بعيسى ابن مريم.
١١. الأحاديث الواردة عن النبي محمد في فضائل المسيح عيسى ابن مريم.
١٢. صفة المسيح عيسى ابن مريم.
١٣. بشارة عيسى ابن مريم بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
١٤. الدلائل الستون على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح عيسى ابن مريم.
١٥. خاتمة.

نتائج البحث

بهذا الأسلوب المنطقي المُتَّفَق والمتناسق فيما بينه، تحدَّث القرآن عن شخصية المسيح عيسى ابن مريم، وبيَّن صورته الواضحة المَعَالِم، السهلة الفهم والاستيعاب، والتي يمكن تلخيصها بكلمات يسيرة، فعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وُلِدَ بطريقة معجزة من أمِّ بلا أبٍ، وهو كسائر البشر فيما سوى ذلك، فهو بشر أرسله الله عَزَّوَجَلَّ إلى بني إسرائيل داعياً إلى عبادة الله وحده، ولم يدعُ إلى عبادته نفسه ولا عبادة أمه مريم، وأنزل عليه الإنجيل، وأيده بالآيات والمعجزات لتكون دليلاً وبيانا على أنه نبي مرسل من عند الله حقاً، وحجة على من خالف وعاند وكفر، ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (١).

وبهذا تم الكتاب بحمد الله، وهذه عشر نتائج يمكن أن نستخلصها من خلال قراءتنا للكتاب:

١. ذُكر قصة ولادة عيسى ابن مريم بالتفصيل الدقيق، من حين حملها به، إلى حين بلوغ مريم مرحلة المخاض، إلى أن ولدته ثم أتت به قومها.

٢. إثبات بشرية عيسى ابن مريم، وأنه ليس له من خصائص العبادة ولا الربوبية شيء، بل هو عبد الله، يعبد الله كما يعبد البشر الآخرون.

٣. إثبات بطلان قول النصارى (المسيحيين) إن عيسى ابن الله، لأن الله لم يخبر بهذا عن نفسه، ثم إن دعوى اتخاذ الله للولد باطلة بالعقل من ثلاثة وجوه، تقدم ذكرها.

٤. إثبات أن عيسى ابن مريم رسول من عند الله، وهو من أفضل الرسل، فإن الرسل كثير، وأفضلهم خمسة، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وآخرهم محمد، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم.

٥. إثبات نبوة عيسى ابن مريم بدلالة المعجزات التي أيده الله بها، ومن المعلوم أن هذه المعجزات لا يستطيع البشر أن يأتوا بها من عند أنفسهم، وإنما يأتي بها رب البشر وهو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وقد مر ذكرها في البحث، نعيدها هنا لفائدة التلخيص:

أ- أنه وُلِدَ من أمِّ بلا أب.

ب- أنه كَلَّمَ الناس وهو رضيع.

ت- أنه دعاهم للدين الذي بعثه الله به وهو كبير بما أوحاه الله إليه.

ث- أن الله تعالى علَّمه الكتابة والخط بدون مُعَلِّم.

ج- أن الله تعالى وهبه الحكمة وهي قوة الفهم والإدراك.

- ح- أن الله تعالى علّمه التوراة التي أنزلها على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- خ- أن الله تعالى علمه الإنجيل الذي أنزله عليه هداية للناس.
- د- أن الله تعالى أيدّه بالمعجزات التي لا يستطيع البشر أن يأتوا بها، ليكون ذلك دليلاً على نبوته، وهي تصوير الطين كهيئة الطير فينفخ في تلك الهيئة، فتكون طيراً بإذن الله، وأنه يشفي الذي وُلِدَ أعمى فيصر، ويشفي الأبرص، فيعود جلده سليماً بإذن الله، وأنه يُحيي الموتى بإذن الله فيقومون من قبورهم أحياء، وأنه يُنبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، فيقع كلامه صحيحاً.
- ذ- ذكر دليل عظيم على نبوة المسيح، وهو قصة المائدة التي طلب الحواريون من عيسى أن يدعو الله لهم أن يُنزلها عليهم فأنزلها، فأكلوا منها مطمئين فرحين، وهذا الدليل ليس مذكوراً في العهدين القديم والجديد.
٦. إثبات أن المسيح عيسى ابن مريم له مكانة عظيمة في دين الإسلام، فقد ورد ذكر اسمه في القرآن خمساً وعشرين مرة، وورد ذكره بوصفه (المسيح) تسع مرات، وورد ذكر أمه مريم باسمها إحدى وثلاثين مرة عَلَيْهَا السَّلَامُ، ولم تُذكر امرأة غيرها باسمها في القرآن.
٧. إثبات أن الله حمى نبيه عيسى ابن مريم من كيد اليهود -قتلة الأنبياء- لَمَّا

أرادوا قتله، فرفعه الله إليه إلى السماء معززاً مكرماً.

٨. مريم ابنة عمران هي أم عيسى، وهي أفضل نساء العالمين في الدنيا في وقتها، وسيدة نساء أهل الجنة، وهي طاهرة مطهرة مما وصفها به اليهود، حاشاها من ذلك.

٩. إثبات أن مريم حملت بابنها عيسى بكلمة الله تعالى «كن» فكان عيسى في بطن أمه، وهذا ليس شاقاً على الله، فقد خلق الله أبانا آدم بلا أم ولا أب، وخلق أمنا حواء من ضلع آدم، فهو القادر على كل شيء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

١٠. إثبات أن الإسلام سلك منهج الوسط في موضوع تعظيم عيسى ابن مريم، فلم يُعظّمه فوق حقه كما فعل النصارى الذين قالوا إنه الله أو ابن الله، ولم يبخسه حقه كما فعل اليهود الذين أنكروا نبوته، وهمّوا بقتله، ورموا أمه بالزنا، وقالوا إنه ابن زنا، بل عظم الإسلام عيسى كما عظم غيره من الأنبياء.

تم الكتاب بحمد الله



اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل (١)، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. والله أعلم وأحكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى سائر أنبيائه، وسلّم تسليماً كثيراً.

تم بحمد الله الفرائح من هذا الكتاب في رمضان لعام ١٤٤١ هجري،

الموافق أبريل لعام ٢٠٢٠ ميلادي

والحمد لله أولاً وآخراً

ماجد بن سليمان

majed.alrassi@gmail.com

٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

(١) جبرائيل هو أعظم الملائكة، وهو الملك الموكل بالوحي إلى الرسل.

وميكائيل هو المَلَك الموكل بالمطر.

وإسرافيل هو المَلَك الموكل بالنفخ في الصور ليقوم الناس يوم القيامة للحساب والجزاء.

ومعنى فاطر السماوات والأرض أي خالقهما.

مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة

وهي منشورة في موقع «الدين الواضح»

www.saaid.net/The-clear-religion

١. هل المسيح ربُّ؟
٢. أربعون دليلاً على بطلان عقيدة «توارث الخطيئة» وعقيدة «صلب المسيح»
٣. أين التوراة والإنجيل الأصليين؟
٤. قصة آيينا آدم
٥. التغيرات والتطورات التدريجية التي حدثت على رسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون
٦. ستون دليلاً على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
٧. لماذا خلقنا الله؟
٨. الأصول الثلاثة التي يقوم عليها دين الإسلام
٩. الكتاب المقدس – القرآن
١٠. تعريف موجز بالكتاب المقدس – القرآن
١١. لمحات عن الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٢. موقف الإسلام من الإرهاب
١٣. أربعون دليلاً على تكريم الإسلام للمرأة وحفظ حقوقها ومشاعرها
١٤. مهلاً أيتها الدكتورة.. لا تسبي الإسلام
١٥. قصة هداية الكاردينال دانيال إلى الإسلام
١٦. The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible
١٧. Eleven facts about Jesus
١٨. Who Deserves to be Worshipped?

الفهرس

- ٣.....مقدمة
- ١١.....توضيح مصطلحات متكررة في الكتاب
- الفصل الأول: {قصة ميلاد العذراء البتول، مريم بنت عمران، كما وردت في
«القرآن»}.....١٣
- ٢٢.....خلاصة في عقيدة الناس في مريم ابنة عمران
- الفصل الثاني: الأحاديث الواردة عن النبي محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في فضائل مريم ابنة
عمران.....٢٥
- ٢٨.....الفصل الثالث: قصة ميلاد المسيح عيسى ابن مريم كما وردت في «القرآن»
- ٤٣.....توضيح معنى وَصَفِ اللهُ لِلْمَسِيحِ بِأَنَّهُ كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحٌ مِنْهُ
- ٤٦.....فائدة في بيان الحكمة من خلق المسيح من أمّ بلا أب
- ٥٢.....الفصل الرابع: الأدلة القرآنية على نبوة المسيح عيسى ابن مريم
- ٦٤.....الفصل الخامس: ذكر المعجزات الدالة على نبوة المسيح عيسى ابن مريم
- سرد الآيات الواردة في بيان المعجزات التي أيد الله بها المسيح لتكون دليلاً على

- ٦٧..... نبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٦٧..... الآية الأولى
- ٧٠..... الآية الثانية
- ٧٧..... الآية الثالثة
- ٧٩..... الآية الرابعة
- ٨٢..... تقرير من إنجيل يوحنا على أن الله أيد المسيح بالآيات الدالة على نبوته
- الفصل السادس: إثبات أن المسيح عيسى ابن مريم عبدُ الله، وبشر رسول، وليس رباً، ولا ابن الرب، ولا إلهاً، ولا ابن الإله
- ٨٤.....
- ٨٧..... إزالة الإشكال في طبيعة المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ
- الفصل السابع: سرد الآيات من القرآن الكريم التي نفى فيها الله عن نفسه اتخاذ الولد والزوجة والبنات
- ٨٩.....
- ٩٣..... سرد الآيات التي نفى فيها الله عن نفسه اتخاذ الولد
- ١٠٤..... سرد الآيات التي نفى فيها الله عن نفسه اتخاذ الزوجة والولد
- ١٠٧..... خلاصة
- ١٠٨..... ذكّر من قال إن الملائكة بنات الله

- التحذير من الغلوّ في تعظيم المسيح عيسى ابن مريم فوق منزلته البشرية، ورفعته إلى منزلة الألوهية والربوبية ١١١
- همسة في أذن عاقل ١٢١
- خاتمة لطيفة..... ١٢٣
- الفصل الثامن: قصة رفع المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء، وحماية الله له من القتل والصلب ١٢٥
- ذكر الدليل التفصيلي على ما تقدم من رفع المسيح إلى السماء ١٣٠
- {فائدة تاريخية} ١٣٥
- الفصل التاسع: اختلاف أصحاب المسيح بعد رفعه إلى السماء ١٣٨
- الفصل العاشر: قصة نزول المسيح إلى الأرض في آخر الزمان وما يتلوه من أحداث إلى موته عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٤٢
- مقدمة..... ١٤٢
- الحدث الأول - نزول المسيح من السماء ١٤٣
- حال الناس قبل نزول المسيح ١٤٣
- ظهور الدجال ونزول المسيح ابن مريم ١٤٤

- ١٥٠ - اللّحاق بالدجال والقضاء عليه مع مَنْ معه من اليهود
- ١٥٥ إخبار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبر الدجال ليحذره الناس
- ١٥٦ وسائل الحفظ من فتنة الدجال
- ١٦٠ الحدث الثالث - قصة المسيح ابن مريم مع يأجوج ومأجوج
- ١٦٤ الحدث الرابع - كسر الصليب وقتل الخنزير ورد الجزية
- ١٦٦ شرح ألفاظ الحديث
- الحدث الخامس - مرحلة السلام العالمي ورغد العيش تحت حكم المهدي ثم
- ١٦٩ المسيح
- ١٧١ مرحلة ما بعد وفاة المسيح
- الحدث السادس - المسيح ابن مريم سيحج إلى مكة، لأداء فريضة الحج أو العمرة
- أو كليهما ١٧٢
- ١٧٣ فوائد متنوعة في موضوع نزول المسيح ابن مريم
- الفصل الحادي عشر: الأحاديث الواردة عن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضائل
- المسيح عيسى ابن مريم وأخباره، عليهما جميعاً أفضل الصلاة والسلام ١٧٨
- الفصل الثاني عشر: صِفَةُ الْمَسِيحِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَمَائِلُهُ ١٨٤

- ١٨٦ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** محمد صلى الله عليه وسلم
- الفصل الثالث عشر: بشارة عيسى ابن مريم بالنبي محمد
- الفصل الرابع عشر: خلاصة الكتاب: الدلائل الستون على تكريم الإسلام لمريم العذراء، وابنها المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ١٨٩
- خاتمة ٢٠٢
- نتائج البحث ٢٠٤
- مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة ٢٠٩
- الفهرس ٢١١